

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## العسكرية العسكرية في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

عبد الحميد عبد القادر خروب

كان قوام القوة العسكرية المتوفرة للدولة الإسلامية الناشئة في المدينة النبوية لا يتجاوز ثلاثمائة وأربعة عشر جنديا في غزوة بدر الكبرى، ومع هذا العدد القليل من المدافعين ظلت مدينة النبي صلى الله عليه وسلم محاطة بالمشركين واليهود والنصارى من جميع الجهات، كما أن سلطان فارس والروم قد قيع في أطراف الجزيرة العربية، وكل هذه القوى كانت تعادي القوة الإسلامية الجديدة وتربص بها الدوائر في نفس الوقت. وفي هذه الظروف الصعبة الشديدة، بقي الرسول صلى الله عليه وسلم رابط الجأش، قوي الشكيمة، يربي أصحابه ويرشدهم إلى تعلم فنون القتال، ويرغبهم في الجهاد، الذي هو أحب الأعمال إلى الله تعالى، وهو ما يعبر عنه في عصرنا الحاضر برفع الروح المعنوية للمقاتلين، وقد تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه القوة البسيطة في غزوة بدر أن يحقق انتصارا ساحقا على أعدائه الذين كانوا يفوقونه عدة وعددا، وبعد ثلاث وعشرين سنة من العمل المتواصل دانت له الجزيرة العربية، حتى هيا المسلمين لقتال فارس والروم، أعظم أمبراطوريات عصره، فسقطت الدولة الفارسية في عهد خلفائه الرشدين وانحسر النفوذ الرومي، وتقلصت سيطرته في آسيا وأفريقيا، وهذا الإنجاز العسكري العظيم الذي حققه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المدة القصيرة بهذه العدة القليلة لا مثيل له في تاريخ البشرية.

ولقد أخذ الناس انطبعا سيئا عن العسكرية، ولا يذكرونها إلا كما يذكرون وحوش الغاب، لأن الحروب التي عهدوها في حياتهم، لا تعرف إلا قطع الرؤوس وإراقة الدماء، ولا تترك خلفها إلا جثث القتلى وأنين الأسرى، وصيحات الجرحى وبكاء الأرامل والثكلى، وضياع الأيتام، وتشرد الناس، وفساد البيئة، وخراب العمران، وأوجاعا كثيرة يصعب حصرها، ترهق كاهل الإنسان وتقضم ظهره، ويشقى بها المجتمع، حتى لكأن العسكرية بعيدة كل البعد عن الرحمة الإنسانية.

وعهد الناس الإنسان العسكري رجلا حديديا، قاسي القلب، عصي الدمع، بارد العواطف، فضا غليظا، شديدا على الناس، وقد شهد تاريخ البشرية كثيرا من القادة الذين زجوا بجنودهم في مهالك كان من الممكن تفاديها، وإذا ما دارت لهم الدائرة، وكانت لهم الغلبة على خصومهم، أظهروا من بشاعة الفتك، وسفك الدماء، والتمثيل بخصومهم، ما لو اجتمعت وحوش الغاب كلها، لن تفعل فعلهم. والقليل من هؤلاء القادة من كان ملتزما بأهداف العمل العسكري، بعيدا عن الإسراف في سفك الدماء، ومع ذلك لا يخلو سجله من انتهاكات لمبادئ الحرب وأهدافها.

وقد شكلت سير هؤلاء القادة في الحروب التي مرت بها البشرية، رصيذا استخلص منه أهل الخبرة والدراية بشؤون الحرب ومبادئها<sup>(١)</sup>، أهم صفات القائد العسكري، والتي تحقق أمثلها في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بدرجة متميزة، لا يداينها أي قائد في التاريخ، حيث إنه صلى الله عليه وسلم كان في حروبه أخوا للإنسانية، فقد ألبس العسكرية ثوب الرحمة، وارتقى بها إلى قمة الفضائل وجعلها تصون كرامة الإنسان وتحمي حقوقه، وتصد عنه الظلم والعدوان، وقد جعلت الحديث عن هذا الموضوع في أربعة مباحث:

**المبحث الأول: أهم صفات القائد العسكري في شخصيته صلى الله عليه وسلم**

**المطلب الأول: الصفات النفسية، وأهمها**

**النفسية الثابتة**

يتمتع النبي صلى الله عليه وسلم بنفسية ثابتة قوية في كل الأحوال، ويتسم برباطة الجأش والسيطرة على أعصابه، في المواقف العصيبة، ولا يقوم بردود أفعال غير محسوبة، ولا يفقد اتزانه، ويملك زمام المبادرة، ويتصرف بحكمة، وحينما أساء إليه أهل الطائف وردوا عليه بعنف شديد، لم تتزحزح نفسه ولم تتضأضأ، بل زاده ذلك إصرارا على المضي في طريق الدعوة، غير مبال بتهديدات أعدائه واضطهادهم له، كما تظهر هذه النفسية الثابتة في موقفه صلى الله عليه وسلم من الأعرابي الذي فاجأه وهو نائم، وامتشق سيفه وهدده بالقتل، فلم يرتبك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتحرك من مكانه، وبقي ثابتا غير خائف، حتى دب الخوف إلى الأعرابي وألقى السلاح، روى البخاري بسنده عن جابر، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه، فقال: تخافني؟ قال: لا، قال: فمن

١- انظر للتفصيل: الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال يوسف، العسكرية الإسلامية، مكتبة المنار، الزرقاء، ط ١، ١٤٠١هـ، ص ٩٩-١٠٠.

يمنعك مني؟ قال: الله" (٢).

قال ابن حجر: "وكان الأعرابي لما شاهد ذلك الثبات العظيم، وعرف أنه حيل بينه وبينه تحقق صدقه، وعلم أنه لا يصل إليه، فألقى السلاح، وأمكن من نفسه" (٣).

ولما أدبر المسلمون في غزوة حنين، أمدهم الرسول صلى الله عليه وسلم بثقته الكبيرة، ونفخ فيهم من نفسه التي ثبتت في ساحة الوغى وتقدمت تشق صفوف المشركين، فقويت عزائم المسلمين، وثبتوا في المعركة وانتصروا، روى البخاري بسنده عن أبي إسحاق، قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنها: أفررت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، إن هوازن كانوا قوما رماة، وإنما لما لقيناهم حملنا عليهم، فانهمزوا، فأقبل المسلمون على الغنائم، واستقبلونا بالسهم، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر، فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بلجامها والنيبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" (٤)، وهكذا كانت كل المعارك التي خاضها، شاهدة على ما تتمتع به نفسه الطاهرة من ثبات وقوة في السراء والضراء.

#### الإرادة القوية

تدفع الإرادة القوية صاحبها إلى تحمل الشدائد، واقتحام الصعوبات، والصبر على تحقيق المطلوب كما قال الله تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٥).

وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها مثال رائع للإرادة القوية، فقد ظل في دعوته صامدا أمام كل الصعوبات التي واجهته حتى ذلها وبلغ دعوة ربه، وانتصرت إرادته القوية على إرادة الوثنيين الذين أذعنوا له وأعلنوا إسلامهم، ولما جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا فانه عنا، فقال: يا عقيل، اتنني بمحمد فانطلق إليه فاستخرجه من كبس (٦) - يقول: من بيت صغير -

٢- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، دار السلام، الرياض، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ٧٠٠، رقم: ٤١٣٦.

٣- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ٧، ص ٤٢٧.

٤- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، ص ٤٧٤، رقم: ٢٨٦٤، ورواه مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة حنين، دار السلام، الرياض، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ٧٩١، رقم: ٤٦١٧.

٥- سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

٦- كبس، أي: من بيت صغير، قيل له كبس لحفائه، من كبس الرجل رأسه في ثوبه إذا أخفاه، انظر: محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعرفة، لبنان، ج ٣، ص ٢٤٦.

فجاء به في الظهرية في شدة الحر، فجعل يطلب الفيء يمشي فيه من شدة حر الرمضاء، فلما أتاهم قال أبو طالب: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانتبه عن أذاهم، فحلق النبي صلى الله عليه وسلم بصره إلى السماء، قال: ترون هذه الشمس؟ قال: ما أنا بأقدر على أن أورد ذلك منكم، على أن تشعلوا منها شعلة، فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي قط، فارجعوا<sup>(٧)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية: "إننا لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره"<sup>(٨)</sup>.

#### الشجاعة

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم - قبل النبوة - معروفا بين قومه بالرجل المحارب القوي، بل اشتهر بالوداعة والهدوء، لكنه بعد البعثة، يعجز الفارس المغوار أن يرقى إلى منصة قوته وبسالته، وقد شهدت له الحروب التي خاض غمارها بالكفاءة العسكرية، والجرأة والشجاعة النادرة، حيث خرج بنفسه في سبع وعشرين غزوة، ولم يباشر القتال إلا في تسع غزوات: بدر، أحد، الخندق، قريظة، المصطلق، خيبر، الفتح، حنين، الطائف<sup>(٩)</sup>.

ولما خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا مواقعهم في غزوة أحد، صارت الدائرة للمشركين، وانقضوا على المسلمين حتى إن منهم من لاذ بالفرار، لكن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت في الميدان، ولم يتزحزح والصحابة يستشهدون أمامه وتمكن المشركون من الوصول إليه ومحاصرته، ولم يكن معه إلا القلة القليلة من الصحابة يذودون عنه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص فناوله النبال وقال له: "ارم يا سعد، فذاك أبي وأمي"<sup>(١٠)</sup>.

٧- البخاري، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، ج ٧، ص ٥١، وانظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط ١، ص ١٤٤، وقال: حسن، انظر: السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ج ١، ص ١٩٤.

٨- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ص ٤٤٧، رقم: ٢٧٣١.

٩- عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، ١٤١١هـ، ج ٦، ص ١٨.

١٠- البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا...، ص ٦٨٧، رقم: ٤٠٥٩.

وروى الحاكم بسنده عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد فاعترض رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة، فطعنه بحرته، فسقط أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعاً من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتل أباي ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين، فمات أبي" (١١).

وفي رواية ابن هشام: فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة، يقول بعض القوم فيما ذكر لي: فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها تطاير الشعراء (١٢) عن ظهر البعير إذا انتفض بها... ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأ (١٣) منها" (١٤). وكان صلى الله عليه وسلم أقوى الشجعان، ويحتمي به أشجع الفرسان إذا همي وطيس المعركة، وحين اغتر المسلمون بكثرتهم يوم حنين وقالوا: "لا نغلب اليوم من قلة" (١٥)، أصابهم من بطش المشركين ما أصابهم، حتى فر بعضهم من أرض المعركة إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم بقي ثابتاً ولم يفر، بل تقدم يشق صفوف المشركين وهو على بغلته، وأبوسفيان بن الحارث أخذ بلجامها، روى البخاري بسنده عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة، أتوليت يوم حنين؟ فقال أما أنا فأشهد على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يول، ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبوسفيان بن الحارث أخذ برأس بغلته البيضاء يقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" (١٦).

- 
- ١١- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٣٥٧، رقم: ٣٢٦٣، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وتعليق الذهبي في التلخيص: "على شرط البخاري ومسلم".
- ١٢- الشعراء: ذباب له لدغ، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٣.
- ١٣- تدأ، يقول: تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٣.
- ١٤- محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٣.
- ١٥- الإمام أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، مسند أبي عوانة، دار المعرفة، بيروت، ج ٤، ص ٢٧٩.
- ١٦- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: من قاد دابة غيره في الحرب، ص ٤٧٤، رقم: ٢٨٦٤، ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة حنين، ص ٧٩١، رقم: ٤٦١٧.

يقول البراء رضي الله عنه: "كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به"،  
يعني النبي صلى الله عليه وسلم" (١٧).

وفي ليلة من الليالي فزع أهل المدينة من صوت عال، فأراد الناس أن يعرفوا سبب الصوت،  
وبينا هم كذلك، إذ أقبل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس متقلدا سيفه، ويقول لهم: لم تراعوا  
لم تراعوا" (١٨).

ولفرط شجاعته صلى الله عليه وسلم كان يتتوق إلى أن يقتل في سبيل الله تعالى، ثم يحيا، ثم  
يقتل، فيقول: "والذي نفسي بيده لولا أن رجلا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد  
ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله ثم  
أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل" (١٩).

ويحضنا على أن نكون أقوياء شجعانا، فيقول: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن  
الضعيف وفي كل خير" (٢٠) ويقول: "الغدوة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها" (٢١).  
ويأمرنا بأن نستعيد بالله من الجبن، فيتضرع إلى الله قائلا: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن،  
والعجز والكسل والجبن والبخل" (٢٢).

ومع كل هذه الشجاعة التي لا يماثله فيها أحد، فقد كان يأخذ بالأسباب، ويسلك سبل النجاة  
والسلامة وحين قرر قومه قتله أخذ بكل الأسباب لحماية نفسه، وهاجر إلى المدينة، وفي غزوة أحد ظاهر  
بين درعين أو لبس درعين (٢٣).

فهو شجاع من غير تهور، وقوي من غير بطش، لا يظلم، ولا ينتقم لنفسه أبداً، ولم يضرب بيده  
شيئاً قط، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده،

- 
- ١٧- المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب غزوة حنين، ص ٧٩٠ - ٧٩١، رقم: ٤٦١٦.
  - ١٨- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا فزعوا بالليل، ص ٥٠٢، رقم: ٣٠٤٠.
  - ١٩- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى الشهادة، ص ٤٦٣، رقم: ٢٧٩٧.
  - ٢٠- صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الإيثار بالقدر والإذعان له، ص ١١٦١، رقم: ٦٧٧٤.
  - ٢١- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، ص ٤٦٣، رقم: ٢٧٩٢.
  - ٢٢- المصدر السابق، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل، ص ١١٠٦، رقم: ٦٣٦٩.
  - ٢٣- سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الجهاد، باب في لبس الدروع، ص ٣٧٤، رقم: ٢٥٩٠، قال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: السجستاني، السنن، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص ٣٣٦.

ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم الله عز وجل" (٢٤).

ولما طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطن سواد بن غزية بقدرح كان في يده، يعدل به صفوف الجند يوم بدر، وقال: "استو ياسواد" فقال: يارسول الله! أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقذني"، لم يغضب منه النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يرد عليه بقسوة وشدة وهو القائد الأعلى، والقتال قاب قوسين أو أدنى، بل ابتسم، ثم: "كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: "استقد"، قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: "ما حملك على هذا يا سواد؟"، قال: يارسول الله! حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدي جلدك! فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير" (٢٥).

إن سواد بن غزية، واحد من أولئك الصحابة الذين يتفانون في حب الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقدمون أرواحهم فداء له، وجيش يتكون من هؤلاء الرجال، يكتب الله تعالى النصر له، ويهزم أعداءه.

وقد جمع صلى الله عليه وسلم بين الشجاعة الحربية، والشجاعة الأدبية، فكان يملك جرأة فريدة في مواجهة أباطيل المشركين والصدع بالحق وقد اجتهد في أمور عاتبه فيها الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك كان يتلو هذه الآيات على مسامع الناس، كما جاء في سورة عبس والتحريم والسجدة وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اتق الله وأمسك عليك زوجك" قال أنس: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئاً، لكتم هذه... وعن ثابت رضي الله عنه **﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾** (٢٦)، نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة" (٢٧).

إن الشجاعة التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم لا تغلب عقله، ولا تمنع عدله، ولا تسكت عن باطل، ولا تتأخر عن نصره الحق، فهي شجاعة فطرية أصيلة في محلها، منسجمة تماما ومتناسقة مع بقية صفاته.

٢٤- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مبادئه صلى الله عليه وسلم للأثام، ص ١٠٢٦، رقم: ٦٠٥٠.

٢٥- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٧٤، وانظر: محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٥٦، وانظر: أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ج ٣، ص ٢١٨، قال الشيخ الألباني: "إسناد حسن"، انظر: السلسلة الصحيحة، ج ٦، ص ٣٣٤، رقم: ٢٨٣٥.

٢٦- سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

٢٧- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: "وكان عرشه على الماء"، هود ٧، ص ١٢٧٦-١٢٧٧، رقم: ٧٤٢٠.

## قوة الشخصية

الثقة بالنفس أهم عنصر في قوة الشخصية، ويكتسب الإنسان هذه الصفة حينما يجرر نفسه من أسر الأحزان التي تنبعث من داخله، ويتغلب على الخوف الذي يتهدهده، والإنسان الذي يقع فريسة للخوف والحزن، تكون شخصيته مهزوزة ضعيفة، ولكي يكون قويا، فما عليه إلا أن يديم استحضار عظمة الله تعالى، ويواجه ما يخاف منه حتى تشفى نفسه من هذه العلة، وقد نفى سبحانه الخوف والحزن عن عباده المؤمنين فقال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٢٩) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٢٨). وبين الله تعالى أن عباده المؤمنين يقومون بواجب التبليغ، ويخافونه ولا يخافون أحدا إلا الله فقال: ﴿الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٢٩).

فالخوف من الله تعالى وحده دليل على قوة الشخصية، والخوف من غيره دليل على ضعفها، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعبد الخلق وأشد الناس خشية لله تعالى وهو القائل: "إني أتقاكم الله وأصدقكم وأبركم" (٣٠) وأشدكم له خشية" (٣١) وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في مجالسه من الدعاء لأصحابه قائلا: "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك" (٣٢) ومع خشيته صلى الله عليه وسلم الله تعالى وتواضعه للناس، لا يستطيع أحد إدامة النظر إلى وجهه مهابة منه.

٢٨- سورة يونس، الآيتان: ٦٢-٦٤.

٢٩- سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

٣٠- صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب نهي النبي صلى الله عليه وسلم على التحريم، ص ١٢٦٧، رقم: ٧٣٦٧.

٣١- محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ج ٨، ص ٣٠٩، رقم: ٣٥٣٨، وعلق عليه الأرنؤوط فقال: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

٣٢- محمد بن عيسى الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في عقد التسبيح، ص ٧٨٩، رقم: ٣٥٠٢، وقال: "هذا حديث حسن غريب"، ورواه أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ج ٦، ص ١٠٦، رقم: ١٠٢٣٤، وقال الشيخ الألباني: "حسن"، انظر: الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ص ٢١٥، رقم: ٢١٤٨، وأخرجه الحاكم بلفظ قريب منه وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير، ج ١، ص ٧٠٩، رقم: ١٩٣٤.

## المطلب الثاني: الصفات الفكرية، وأهمها

### الفطنة وبعد النظر

كان الرسول صلى الله عليه وسلم أذكى الناس، وأوفرهم عقلاً، وأفضلهم رأياً، كيساً فطناً لبيباً، وتحدث القاضي عياض عن كمال عقل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "فلا مزية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شأئله وبديع سيرته، فضلاً عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتز في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة"<sup>(٣٣)</sup>، وهو يتمتع ببعد النظر في الأمور كلها عسكرية كانت أو غيرها، والشواهد كثيرة لا تحصى، يقول مونتجمري وات: "ولولا هذا المزج الرائع من الصفات المختلفة الذي نجده عند محمد لكان من غير الممكن أن يتم هذا التوسع ولا استنفدت تلك القوى الجبارة في غارات على سورية والعراق دون أن تؤدي لنتائج دائمة، ونستطيع أن نميز ثلاث هبات مهمة أوتيتها محمد، وكانت كل واحدة منها ضرورية لإتمام عمل محمد بأكمله، لقد أوتي أولاً موهبة خاصة على رؤية المستقبل، وكان ثانياً رجل دولة حكيماً، وكان ثالثاً رجل إدارة بارعاً"<sup>(٣٤)</sup>.

وهذا خباب بن الأرت رضي الله عنه يقول: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه".

فبعد أن دعاهم الرسول إلى الصبر، وبين لهم ما يتصف به المؤمنون السابقون من قوة الصبر، واحتمال الأذى الشديد في سبيل دينهم، لفت أنظارهم إلى ما هو أبعد من ذلك فقال: "والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"<sup>(٣٥)</sup>.

ويوم حاصرت الأحزاب المسلمين ورمتهم العرب عن قوس واحدة، وعزمت على استئصالهم

٣٣- القاضي عياض اليحصبي، الشفا بحقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج ١، ص ٦٦-٦٧.

٣٤- مونتجمري وات، محمد في المدينة، ترجمة وتحقيق: شعبان بركات، المكتبة العصرية، ١٩٨٥م، ص ٥١٠-٥١١.

٣٥- صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل، ص ١١٩٧، رقم: ٦٨٤٣.

للأبد، كان النبي صلى الله عليه وسلم يعد المسلمين بفتح جزيرة العرب، وبلاد فارس والروم (٣٦)، ولم يقتصر نظره صلى الله عليه وسلم على ما هم فيه من بلاء عظيم، بل كان ينظر إلى المستقبل ويغرس في قلوب أصحابه الأمل الصادق، ولا شك أن أصحابه بعد أن سمعوا منه ما قال ارتفعت معنوياتهم، ولم تخفهم كثرة أعدائهم، وصاروا ينظرون إلى ما هو أبعد من أرض المعركة.

والقائد المحنك هو من يعد للأمر عدته، ويأخذ بالحيلة في كل شيء، ويضع الخطط البديلة للاحتتمالات السيئة في العمليات العسكرية، وعندما عزم صلى الله عليه وسلم على فتح مكة، شكل قوات عسكرية مستقلة لتطويق البلد من جهاته الأربع، ولتكون في حالة استعداد للقضاء على أي مقاومة في جميع الجهات عند الضرورة، وهي في نفس الوقت تشتت قوات العدو، وتجعله ضعيفا في مواجهتها في شتى المواقع، ومع أن أهل مكة لا يستطيعون مواجهة قوات المسلمين، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع كل الاحتمالات في خطته، كي لا يباغت جيش المسلمين بأي مقاومة، وتلحق به الخسائر.

#### الخبرة بطبائع النفوس

لا أحد يداني الرسول صلى الله عليه وسلم في خبرته الواسعة في التمييز بين أنواع النفوس، ومعرفة طبائعها ومواهبها، فقد كان يختار لكل واحد من أصحابه ما يناسبه من أعمال، ويترفق به، ولا يكلفه ما لا يطيق، ولا يجابي أحدا على حساب الكفاءة والقدرة على أداء العمل، ولو كان من أحب الناس إليه، ولما سأله أبوذر رضي الله عنه أن يوليه قال له: "يا أباذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها" (٣٧).

وكان ميزانه صلى الله عليه وسلم في وصف شخصية الإنسان، ميزانا دقيقا، سواء أكان الشخص قريبا منه أو بعيدا، ويقول كلمة واحدة تكون مفتاح شخصية الموصوف بها، فقد وصف مكرز بن حفص بالغدر، والحليس بن علقمة بأنه من قوم يتأهلون، وسهيل بن عمرو ورجل الصلح (٣٨)، ووصف أقرب الناس إليه أبابكر بأنه أرحم أمته، وعمر بن الخطاب بأنه أشد الناس في الحق وعثمان بأنه أصدق الناس

٣٦- صحيح مسلم، كتاب الفتن وأثر الساعات، باب ما يكون من فتوحات المسلمين، ص ١٢٥٦، رقم: ٧٢٨٤.

٣٧- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، ص ٨١٩، رقم: ٤٧١٩.

٣٨- البيهقي، السنن الصغرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، باب ما جاء في مدة الهدنة، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، ج ٩، ص ٢٢١، رقم: ١٨٥٨٩، قال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: الشيخ محمد الغزالي، فقه السيرة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص ٣٢٦، ورواه الإمام أحمد، المسند: مسند الكوفيين، حديث مسور بن مخرمة، ج ٤، ص ٣٢٣، رقم: ١٨٩٣٠، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط فقال: "إسناده حسن".

حياء، رضي الله عنهم أجمعين (٣٩).

كما أن اختياره صلى الله عليه وسلم لقادة جيوشه، يدل على معرفته الكاملة بكفاءتهم القيادية، وشجاعتهم الفائقة، حيث إن عدد الذين ولّاهم قيادة سراياه سبع وثلاثون قائداً، استشهد منهم في ميدان المعركة اثنا وعشرون، أي أن ستين بالمائة من القادة شهداء، وهي نسبة عالية جداً، إذا ما قورنت بنسبة القادة الذين يموتون في غير المعارك الإسلامية، حيث لا تتجاوز النسبة واحداً في المائة في أعلى تقدير (٤٠)، إذ إن أكثر الذين يموتون في ساحة الوغى، هم من الجنود وارتفاع نسبة الاستشهاد بين القادة المسلمين، إنما لشجاعتهم، وتقدمهم في القتال على جنودهم، وأنهم ليسوا مثل أولئك القادة الذين يقودون جيوشهم من الخلف أو عن بعد.

**المطلب الثالث: الصفات الجسمية، ومن أهمها**

**اللياقة البدنية**

إن تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم لأعباء الدعوة ثلاثاً وعشرين سنة، وخوضه غمار الحروب، ومشاركته في حفر الخندق وكسر الحجر الذي استعصى على الجميع، كلها شواهد على ما يتمتع به بدنه الشريف من صحة وسلامة ولياقة، ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق على المدينة، إذا صحرة بين يدي سلمان - قد ضعف عنها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "دعوني فأكون أول من ضربها"، فقال: "بسم الله" فضربها فوقعت فلقة ثلثها، فقال "الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة"، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة، فقال: "الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة"، فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا، وهو يعدنا قصور فارس والروم" (٤١).

٣٩- انظر: محمد بن عيسى الترمذي، الجامع، دار السلام، الرياض، ط ١، ١٩٩٩م، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت، ص ٨٦٠، رقم: ٣٧٩١، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه، السنن، المقدمة، فضائل خباب، ص ٢٣، رقم: ١٥٤، ورواه أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مسند أنس بن مالك، ج ٣، ص ٢٨١، رقم: ١٤٠٢٢، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال الشيخ الألباني: صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة مختصرة، مكتبة المعارف، الرياض، ج ٣، ص ٢٢٣، رقم: ١٢٢٤.

٤٠- انظر: شيت الخطاب، درسان حيويان من قادة الرسول صلى الله عليه وسلم، - <http://www.yabeyrouth.com/>

٤١- سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م، ط ٢، ج ١١، ص ٣٧٦، رقم: ١٢٠٨١، وقال الهيثمي: "رجالهم رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونعيم العنبري وهما ثقتان"، انظر: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المغازي والسير، باب في غزوة الخندق، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٦، ص ١٩٠، رقم: ١٠١٤٠.

وكان صلى الله عليه وسلم يصارع أقوى الرجال، فيصرعهم، وقد صارع أبا ركانة - وكان مصارعاً شديداً لا يغلبه أحد - فقال شاة بشاة فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو ركانة: عاودني، فصارعه فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً، فقال أبو ركانة: عاودني في أخرى، فعاوده فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً، فقال أبو ركانة: هذا أقول لأهلي شاة أكلها الذئب وشاة تكسرت فماذا أقول للثالثة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرمك، خذ غنمك" (٤٢).

وكان يوصي أصحابه بالعناية بالقوة الجسمية وممارسة الرياضة البدنية، ومداومة التدريب على ركوب الخيل والرمية فيقول: "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي" (٤٣).

#### المطلب الرابع: الصفات العملية، ومنها

##### القرار الحاسم

من أهم صفات القائد الناجح، المسارعة إلى اتخاذ القرار الحاسم، في المواقف الحرجة، فينهى الجدل القائم، ويسد باب التذبذب، ويمنع انتشار الفوضى، وتعطيل الأعمال، وهذه الصفة لا تتأتى إلا لمن كان قادراً على قيادة الجنود وتسيير الأمور، وتحمل نتائج قراراته.

وقد كانت هذه الصفة بارزة في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يكن يتردد أبداً في المواقف الصعبة، بل يتخذ القرارات الحاسمة بكل يسر، ورباطة جأش، وحين قام بنو قينقاع بكشف عورة المرأة المسلمة، وقتل المسلم الذي دافع عن شرفها، ونقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يمهلهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وجهاز جيشاً على الفور، وحاصرهم حتى نزلوا على أمره (٤٤).

ولما اختلفت الصحابة في الخروج إلى غزوة أحد، حسم النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقتال

---

٤٢- عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ، معمر بن راشد، كتاب الجامع، باب قوة النبي صلى الله عليه وسلم، ج ١١، ص ٤٢٧، رقم: ٢٠٩٠٩، قال الشيخ الألباني: "فهذا الإسناد أقل أحواله عندي أنه حسن، والله أعلم"، انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م، ج ٥، ص ٣٣١، وذكره في صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط ١، ص ٢١٧.

٤٣- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، ص ٨٥٧، رقم: ٤٩٤٦.

٤٤- انظر: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣١٤-٣١٥.

العدو خارج المدينة<sup>(٤٥)</sup>، وحينما وضع يهود بني النضير خطة لاغتياله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس عندهم يكلمهم في مشاركتهم في الدية، أبلغ الوحي النبي صلى الله عليه وسلم بغدرهم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مسرعا، وباءت خطتهم بالفشل، واتخذ صلى الله عليه وسلم قراره السريع الحاسم في تأديبهم، فحاصرهم مدة، ثم من عليهم، فوهبهم لعبد الله بن أبي بن سلول، وأجلاهم إلى الشام<sup>(٤٦)</sup>.

### تحمل المسؤولية

خاض النبي صلى الله عليه وسلم بالقللة القليلة من أصحابه، معارك طاحنة، فهزم أعداءه جميعا شر هزيمة، وسيرته كلها شاهدة على مدى ما يتمتع به من قدرة فائقة على تحمل المسؤولية، وقد كان يشعر كل إنسان بواجبات مسؤوليته فيقول: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع، ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع، وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته والخادم في مال سيده راع، وهو مسؤول عن رعيته"<sup>(٤٧)</sup>.

ولم تشغله صلى الله عليه وسلم شدة أعباء الرسالة وثقل تكاليفها، واهتمامه بقضايا الناس وشؤونهم، وصعوبات الحياة ومشكلاتها عن مسؤوليته نحو أهل بيته، حيث كان يقوم بجميع مسؤولياته في توازن دقيق، فلا تشغله الأعمال الكبيرة عن الصغيرة، ولا الصغيرة عن الكبيرة، فيعطي لكل عمل حقه من الإقتان، وقد سأل بعض الصحابة رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها، عن صنيع النبي صلى الله عليه وسلم داخل البيت، فقالت: "كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة"<sup>(٤٨)</sup>، ثم تبين لهم

٤٥- انظر: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، السنن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، كتاب الرؤيا، باب في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك في النوم، ج ٢، ص ١٧٣، قال حسين سليم أسد: "إسناده صحيح على شرط مسلم". وأخرجه البخاري تعليقا في صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، ص ١٢٦٧، ووصله ابن حجر العسقلاني في تعليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القرظي، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ٥، ص ٣٣٢، وقال: "إسناده صحيح" وأخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٦، ص ١٥٢، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح".

٤٦- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ص ٦٨٠، رقم: ٤٠٢٨.

٤٧- المصدر السابق، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، ص ٤١٣، رقم: ٢٥٥٨.

٤٨- المصدر السابق، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، ص ١٠٥٥، رقم: ٦٠٣٩.

بعض الأعمال التي كان يقوم بها داخل بيته فتقول: كان بشرا من البشر، يفلي ثوبه ويحلب شاته" (٤٩)،  
"يخسف النعل ويرقع الثوب ويخيط" (٥٠).

#### العلاقة القوية بجنده

كانت ثقة الصحابة رضوان الله عليهم في الرسول صلى الله عليه وسلم ثقة مطلقة، لا يتطرق إليها شك، ولا يخالطها ريب، وهي نابعة من اعتقادهم الجازم بنبوته، ومعرفتهم الدقيقة بسيرته الزكية قبل النبوة وبعدها، وهذا ما أورثهم ثقة في صحة كل ما يقوله ويعمله، ولا يحتاج الإنسان إلى جهد كبير حتى يكتشف هذه الحقيقة، فأبوبكر رضي الله عنه ما سمي بالصديق إلا لثقتة المطلقة في الرسول صلى الله عليه وسلم، وتصديقه إياه<sup>(٥١)</sup>، ولما سمع عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم يوم بدر، إلى جنة عرضها السموات والأرض، استثقل أكل تمرات كن بيده، ثم قام، فقاتل حتى قتل (٥٢)، وشهد خزيمة بن ثابت بشراء النبي صلى الله عليه وسلم الفرس من الأعرابي الذي أنكر بيعه، ولم يكن شهيدا بينهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بم تشهد؟ فقال خزيمة بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين" (٥٣).

كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يثق في أصحابه ويشاورهم ويأخذ برأيهم، ويختار منهم للمهمات من يراه مناسبا لها، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبنا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيا فلاعنا، لا نفلح نحن ولا عقبننا من بعدنا، قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلا أميننا، ولا تبعث

٤٩- البخاري، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م، ص ١٩١،

رقم: ٥٤١، وقال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، صحيح الأدب المفرد، ص ٢١٥.

٥٠- المصدر السابق، ص ١٩٠، رقم: ٥٤٠، وقال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، صحيح الأدب المفرد، ص ٢١٥.

٥١- قال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: السلسلة الصحيحة مختصرة، مكتبة المعارف، الرياض، ج ١، ص ٦١٥، وانظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ٨، ص ٣٩٢.

٥٢- انظر: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ص ٨٥٠، رقم: ٤٩١٥.

٥٣- انظر: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٣، ص ٣٤٠، رقم: ٣٦٠٩، وأخرجه أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب

المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٩٨٦م، ج ٧، ص ٣٠١، رقم: ٤٦٤٧، وقال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ج ٥، ص ١٢٧.

معنا إلا أميننا فقال: "لأبعثن معكم رجلا أميناً حق أمين" فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "قم يا أبا عبيدة بن الجراح"، فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا أمين هذه الأمة" (٥٤).

والأمين هو الثقة المرضي، وهذه منقبة عظيمة لأي عبيدة رضي الله عنه، ولم يكن الوحيد الذي خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الثقة، بل هو واحد من بين أصحابه الذين حازوا على ثقته، وإنما خصه الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة، لأنه كان الأنسب لها، كما خص حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بأسماء المنافقين الذين أرادوا اغتياله صلى الله عليه وسلم (٥٥)، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي لا يخفي عنه سره (٥٦)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "من يأتينا بخبر القوم"، فقال الزبير أنا ثم قال: "من يأتينا بخبر القوم"، فقال الزبير أنا، ثم قال: "من يأتينا بخبر القوم"، فقال الزبير أنا، ثم قال: "إن لكل نبي حوارياً وإن حوارياً الزبير" (٥٧)، وغيرهم كثير.

والثقة الكبيرة للرسول صلى الله عليه وسلم في أصحابه، جعلتهم رهن إشارته صلى الله عليه وسلم، وأهلاً لصحبته، وعنواناً لنصر الله تعالى، وهو تميز واضح للنبي صلى الله عليه وسلم عن سائر القادة العسكريين.

المبحث الثاني: مظاهر التميز في بناء شخصية الجند

المطلب الأول: تغيير العقيدة العسكرية ومن مظاهرها

القتال في سبيل الله تعالى

عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على تغيير العقيدة العسكرية للجنود، حيث أفرغهم من عقيدة الكفر والشرك، وملأهم بعقيدة الإيمان والتوحيد، التي جعلتهم يعيشون في منظومة إيمانية كاملة، يتعاملون بها مع الوجود بأكمله، وصار الجندي المسلم يدخل المعركة، بدافع أقوى من دافع القبلية، والعنصرية والوطنية والقومية، إنه دافع الجهاد في سبيل الله تعالى، وهو عقد بيع بينه وبين الله تعالى، القائل في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

٥٤- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ص ٧٤٣، رقم: ٤٣٨٠.

٥٥- المصدر السابق، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما، ص ٦٣٠، رقم: ٣٧٤٣.

٥٦- المصدر السابق، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ص ٦٣٢، رقم: ٣٧٦١.

٥٧- المصدر السابق، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ص ٦٩٧، رقم: ٤١١٣.

اللَّهُ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِيَعِيكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٨﴾.

وقد منحه هذا العقد قوة أعظم من كل القوى مجتمعة، وجعله ثابت النفس، قويا مقداما، تتطير منه الشجاعة ويتلهف شوقا للقاء الله تعالى، ويؤمن أن "الجنة تحت ظلال السيوف" (٥٩)، ويتشوق إلى الشهادة، في سبيل الله تعالى (٦٠).

وقد أدرك الأعداء سر قوة المسلمين وشجاعتهم في القتال، فقال القائد العسكري الصليبي مونتجمري: "كان العرب يندفعون نحو القتال، تحركهم أقوى دوافع الحرب: الإيمان والعقيدة، لقد كانوا يؤمنون إيماناً راسخاً بالدعوة الإسلامية ويتحمسون لها ويغارون عليها، وقد أدى هذا إلى اعتناقهم مبدأ صلباً هو: الجهاد في سبيل الله.

لقد وصلت الفتوحات الإسلامية مدى لم تصله في أي عهد سابق، وليس ذلك لأنهم كانوا أكثر عدداً، بل لأنهم كانوا يستقبلون في كل مكان يصلون إليه كمحررين للشعوب من العبودية، وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة فزاد إيمان الشعوب بهم، علاوة على تميزهم في الوقت نفسه بالصلابة والشجاعة في القتال" (٦١).

ويقول الأستاذ العقاد: "إن تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين في جميع حركات التاريخ الكبرى، ولا تسمح لأحد أن يزعم أن العقيدة الدينية شيء تستطيع الجماعة أن تلغيه، ويستطيع الرد أن يستغني عنه في علاقته بتلك الجماعة، أو فيما بينه وبين سريره المطوية من حوله، ولو كانوا من أقرب الناس إليه، ويكرر لنا التاريخ أنه لم يكن قط لعامل من عوامل الحركات الإنسانية أثر أقوى وأعظم من عامل الدين، وكل ما عداه من العوامل الأخرى في حركات الأمم، فإنها تتفاوت فيه القوة بمقدار ما بينه وبين العقيدة الدينية من المشابهة في التمكن من أصالة الشعور، وبواطن السريرة" (٦٢).

٥٨- سورة التوبة، الآية: ١١١.

٥٩- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، ص ٤٦٧، رقم: ٢٨١٨.

٦٠- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين، ص ٤٦٣، رقم: ٢٧٩٥.

٦١- نقلا عن كتاب العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية، للواء الركن محمد جمال الدين محفوظ، ص ١٧.

<http://www.reemoshare.com/dfile/888.pdf>.

٦٢- عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، (المجلد الخامس من الموسوعة: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه)،

دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧١م، ص ٢٨.

كما أنه صلى الله عليه وسلم علمهم كيف يقاتلون بعيدا عن مطامع الحياة الدنيا، والنعرات الجاهلية، وغرس في نفوسهم القيم العليا والفضائل النبيلة، ويبيّن لهم أن القتال في الإسلام لا يهدف إلى النهب والسلب، والمغانم والتفاخر، والتسلط على الناس، وإنما شرع لإعلاء كلمة الحق، وردع الظالم، ونصرة المظلوم، ومن لم يكن قتاله خالصا لوجه الله تعالى فهو ليس من الإسلام في شيء وقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (٦٣) وعلى هذا النهج سار الجندي المسلم يترفع عن الدوافع الدنية التي تعارف عليها الناس في الحروب، وينأى بسلاحه عن البطش والاعتداء، وأصبح حتى في قتاله رجل هداية ورحمة متأشيا برسوله القائد صلى الله عليه وسلم.

#### المحافظة على الهدف

أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٦٤)، لكن المشركين أبوا إلا أن يواجهوا الكلمة الطيبة، والحجة الناصعة بسُلطان سيوفهم، والسيف يواجه بالسيف، قال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" (٦٥)، فهدف الرسول صلى الله عليه وسلم هو محاربة الشرك، ودعوة الناس إلى الإسلام بالكلمة الطيبة والحوار، فإن اعترض الشرك كلمة التوحيد، وسد عليها الطرق، وأبى إلا أن يسكتها بالسيف، فإنه لم يترك عذرا لقتاله وإزالة طغيانه، الذي يهدد حياة المؤمنين ويعوق الناس عن الدخول في الإسلام.

وقد حافظ الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الهدف في جميع حروبه، فكل من آمن عصم دمه، ومن أبى وأدى ما عليه من واجبات، ترك لحاله ما لم يقاتل المسلمين، أو يعن عليهم، روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانا كف عنهم، وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم" (٦٦).

٦٣- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ص ٤٦٦، رقم: ٢٨١٠.

٦٤- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٦٥- صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، ص ٦٩، رقم: ٣٩٢.

٦٦- المصدر السابق، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، ص ١٠١، رقم: ٦١٠.

## إيثار السلام

استطاع الرسول القائد في فترة وجيزة أن يجمع القبائل العربية تحت راية الإسلام، وينهي الحروب الطاحنة التي فتكت بها ويجعلها تنعم بالأمن والسلام، ولم يكن صلى الله عليه وسلم أبدا متلهفا إلى الحروب أو متشوقا إلى الدماء، بل كان يبذل قصارى جهده لتجنبها، ويقدم السلم على الحرب، والحوار على الصراع عملا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٧)، وحتى لو أظهر الأعداء جنوحهم للسلم وأبطنوا الغدر والخيانة، فأرادوا بالصلح الاستعداد والتقوي، فإن الله تعالى أمر نبيه أن يبقى متمسكا بالسلام، محافظا عليه ولا يعاملهم بنياتهم السيئة، وسيكفيه سبحانه شرهم وبقية مكرهم قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْذَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٨).

وقد ربي الرسول القائد جنوده، على إيثار المصالحة والمهادنة والسلام، من غير مذلة أو ضياع لحقوق المسلمين وجعلهم يستشعرون أهمية السلام، وقيمتها الكبيرة في حياتهم، من خلال أدعيته الكثيرة التي يسأل فيها الله تعالى أن ينعم عليه بالعافية فيقول: "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة" (٦٩)، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي" (٧٠).

ولما اشتد ظلم المشركين للمسلمين، وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، أذن لهم الله تعالى برد عدوان الظالمين بقوة السلاح فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٧١) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَكُنَّ عَالَمًا حَرًّا وَلَئِنْ لَمْ يَنْصُرْنَا اللَّهُ لَمَنَعْنَاكَ مِنَ الْإِسْلَامِ فَتَقُولُوا إِنَّمَا فَتَانَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ لَئِن مِّنْ آيَةٍ إِلَّا نُحَاذِقُهَا وَنَكْفُرُ بِهَا وَلَقَدْ كَفَرْنَا بِآيَاتِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ لَئِن يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنَّا الْإِسْلَامَ فَلاَ يَذُرْ بَقِيَّةً لِّمَنْ يَشَاءُ لَئِن كُنَّا لَمُتَّعِينَ بِرِزْقِهِ لَمَا آتَانَا مِن قَبْلُ وَلَئِن كُنَّا لَمُتَّعِينَ بِرِزْقِهِ لَمَا آتَانَا مِن قَبْلُ وَلَئِن كُنَّا لَمُتَّعِينَ بِرِزْقِهِ لَمَا آتَانَا مِن قَبْلُ وَلَئِن كُنَّا لَمُتَّعِينَ بِرِزْقِهِ لَمَا آتَانَا مِن قَبْلُ

فالإذن بالقتال لا يتعارض مع تقديم السلام، وإنما شرع القتال لرفع الظلم الواقع على المسلمين، وإعلاء كلمة الله وإقامة الدولة الإسلامية، وتأمين طريق الدعوة إلى الإسلام من المعتدين،

٦٧- سورة الأنفال، الآية: ٦١.

٦٨- سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

٦٩- البخاري، الأدب المفرد، باب ما يقول إذا أصبح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط ٣، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٤١١، رقم: ١٢٠٠، وقال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، صحيح الأدب المفرد، ص ٤٨٨، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الدعاء والكبير، ج ١، ص ٧١١، رقم: ١٩٣٨.

٧٠- صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم، ص ١١٧٨، رقم: ٦٨٨٨.

٧١- سورة الحج، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

ليكون الناس أحرارا آمنين غير مكرهين في اختيار معتقداتهم، ولذلك فإن الإسلام لم يأمر المسلمين إلا بقتال من قاتلوهم ومنعوهم بالسلاح من أن يقولوا للناس كلمة الحق التي عندهم، ووقفوا في طريق إقامة العدل بين الناس، ولم يكونوا أبدا متعطشين إلى الدماء، وبعد أن نصرهم الله تعالى، وفتح عليهم البلدان، ومكنهم في الأرض، لم يجبروا أحدا على ترك دينه، ولم يقاتلوا من سالمهم من المشركين.

### كراهية الحرب

كان صلى الله عليه وسلم يكره الحرب، ويربي أصحابه على كرهها فيقول لهم: "أيها الناس، لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا" (٧٢)، ولا يرضى أن يتسمى أحد بأسماء الحرب، بل يستقبح التسمي بها فيقول: "تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرّة" (٧٣).

وكان يغير اسم من تسمى بحرب إلى اسم أفضل وأحسن منه، فسمى حربا مسلما (٧٤)، ويوصي جنده بتقديم السلم والتفاهم على الحرب والصراع، ويؤكد لهم على دعوة الناس إلى الإسلام قبل البدء بالقتال فيقول لعلي وقد كان متحمسا للقتال: "على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم" (٧٥)، فالدعوة إلى الإسلام مقدمة على القتال الذي هو باب من أبواب الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وإقامة المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، وهو أمر واجب ومن أفضل الأعمال التي يقوم بها المسلم، ولا فرق بعد ذلك أن يكون الجهاد دفاعيا أو هجوميا، مادامت الغاية واحدة، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال حج مبرور" (٧٦).

- 
- ٧٢- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تتموا لقاء العدو، ص ٥٠٠، رقم: ٣٠٢٥.
- ٧٣- أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، ص ٦٩٧، رقم: ٤٩٥٠، وقال الألباني: "صحيح من دون قوله تسموا بأسماء الأنبياء"، انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، ج ٣، ص ٣٣، رقم: ١٠٤٠، ورواه البخاري، الأدب المفرد، باب أحب الأسماء إلى الله، ص ٢٨٤، رقم: ٨١٤، وقال الألباني: "صحيح دون جملة الأنبياء"، انظر: الألباني، صحيح الأدب المفرد، ص ٣٠٥.
- ٧٤- أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، ص ٦٩٨، رقم: ٤٩٥٦، وقال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، ج ١٠، ص ٤٥٦، وانظر: الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٢٠٨، رقم: ١٩٨٣.
- ٧٥- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس، ص ٤٨٧، رقم: ٢٩٤٢.
- ٧٦- المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، ص ٧، رقم: ٢٦.

المطلب الثاني: تغيير سلوكيات الجنود، ومن مظاهره

استشارة الجند

تميز الرسول صلى الله عليه وسلم باستشارته الكثيرة لجنوده، لأن الشورى عنده، ليست ضرورة طارئة، أو حالة عابرة، أو نافلة قولية، بل هي فريضة عملية، يربي عليها جنوده، ليشعرهم بقيمتهم الذاتية، وأهمية مشاركتهم في صنع القرار، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّصُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٧٧).

ولكثرة استشارته صلى الله عليه وسلم لأصحابه في كل الأمور، السلمية منها والحربية، قال أبوهريرة رضي الله عنه: "ما رأيت أحدا أكثر مشاورة لأصحابه، من رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٧٨)، فهو يستشيرهم في كل المواقف، ولم تكن استشارته لهم، تطييبا لخواطهم بل كان يأخذ بمشورتهم حتى لو خالفوا رأيه، كما حدث في غزوة أحد (٧٩)، وأما عدم استشارتهم في صلح الحديبية فإن الصلح كان وحيا من الله تعالى (٨٠).

إن الاستدانة في استشارة الجند، ومشاركتهم المستمرة في صنع القرارات، تحميمهم من الاستبداد، وتجعل علاقتهم بقادتهم قوية متماسكة، وصفوفهم مرصوصة، وقوتهم رصينة، وشخصيتهم ثابتة مستقرة، وحماستهم للقتال متأججة.

٧٧- سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

٧٨- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م، كتاب السير، باب المواعدة والمهادنة، ج ١١، ص ٢١٦.

٧٩- انظر: عبد الله بن عبدالرحمن الدارمي، السنن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، كتاب الرؤيا، باب في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك في النوم، ج ٢، ص ١٧٣، قال حسين سليم أسد: "إسناده صحيح على شرط مسلم". وأخرجه البخاري تعليقا في الجامع الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُرَكَائِي بَيْنَهُمْ﴾، ص ١٢٦٧، ووصله ابن حجر العسقلاني في تغليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي دار عمار، بيروت، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ٥، ص ٣٣٢، وقال: "إسناده صحيح"، وأخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٦، ص ١٥٢، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح".

٨٠- انظر: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ص ٤٤٩، رقم: ٢٧٣١.

## الحرص على سلامة الجند

أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش، أن يخرج في سرية يترصد له أخبار قريش، وفي الطريق أضل سعد بن مالك وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه، فاستأذنا القائد في البحث عنه، حتى لا يكونا سببا في تأخير مهمة السرية لكنهما تأخرا في طلبه، واشتبكت السرية مع قافلة لقريش، فأصابوا منهم، وعادوا بأسيرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء وفد من قريش لفداء الأسيرين، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "لا نفيديكموهما حتى يقدم صاحبانا، فإننا نخشاكم عليهما" فلم يفدهما حتى قدم سعد وعتبة، ففوديا، فأسلم الحكم بن كيسان وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجع عثمان بن عبد الله بن المغيرة كافرا(٨١).

وهذا المنهاج النبوي يبين ضرورة اهتمام القائد بسلامة جنده، لأنهم هم الذين يقدمون أنفسهم في سبيل نصره دين الله وإقامة دولة الإسلام، وليكونوا حريصين على جنودهم، إذا أصبحوا قادة في المستقبل، وإن المدارس العسكرية الحديثة تقول: "إن الجندي حين يحس باهتمام القيادة به، وبسلامته وبأمنه، لا يتردد في أن يبذل غاية البذل، ويعطي أقصى العطاء"(٨٢).

## مشاركة القائد لجنوده

كان الرسول القائد يشارك جنوده مشقة السفر، ويتقاسم معهم صعوبات الحياة، فيتناوب مع جنده على ركوب البعير ولا يرضى أن يتميز عليهم، فقد روى النسائي بسنده عن ابن مسعود قال: كانوا يوم بدر بين كل ثلاثة نفر بعير، وكان زميل النبي صلى الله عليه وسلم علي وأبو لبابة، وكان إذا كانت عقبته النبي صلى الله عليه وسلم قال له: اركب حتى نمشي عنك، فيقول: "ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما"(٨٣).

٨١- انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٥٠.

٨٢- محمد أبو فارس، غزوة بدر الكبرى، ص ٢٣.

٨٣- محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب السير، باب الخروج وكيفية الجهاد، ج ١١، ص ٣٥، رقم: ٤٧٣٣، ورواه الإمام أحمد، المسند: مسند عبد الله بن مسعود، ج ١، ص ٤١١، رقم: ٣٩٠١، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط فقال: "إسناده حسن"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وعلق عليه الذهبي في التلخيص فقال: "صحيح"، انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الجهاد، ج ٢، ص ١٠٠، رقم: ٢٤٥٣، وقال الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، ج ٥، ص ٣٢٦، رقم: ٢٢٥٧.

وكان أناس كثيرون يأتون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس بين أصحابه، فيقولون أيكم محمد؟ وذلك لعدم تميزه عنهم قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "بيننا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ" (٨٤).

وهو صلى الله عليه وسلم يأمر جنده بالانضباط ويشرف عليهم بنفسه، ويتألم إذا توجعوا، ويتواضع لهم، ويستمع لشكواهم ويأخذ لهم حقهم ويعدل بينهم، ولما قفل راجعا من الطائف إلى الجعرانة كان أبو رهم الغفاري إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة له وفي رجليه نعلان له غليظتان، إذ زحمت ناقته ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو رهم: فوقع حرف نعلي على ساقه فأوجعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوجعتني، أخرجك، وقرع رجلي بالسوط، قال: فأخذني ما تقدم من أمري وما تأخر، وخشيت أن ينزل في قرآن لعظيم ما صنعت، فلما أصبحنا بالجعرانة خرجت أرعى الظهر وما يومي فرقا أن يأتي للنبي عليه السلام رسول يطلبني فلما روت الركاب سألت فقالوا: طلبك النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إحداهن والله، فجئته وأنا أتربق فقال: إنك أوجعتني برجلك فقرعتك بالسوط وأوجعتك، فخذ هذه الغنم عوضا من ضربتي، قال أبو رهم فرضاه عني كان أحب إلي من الدنيا وما فيها" (٨٥).

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ومشاركته في الوقعات الأخرى هي مشاركة القائد الذي لا يعفي نفسه وقد أعفته القيادة من مشاركة الجند عامة فيما يستهدفون له، فهي شجاعة لا تؤثر أن تتوارى حيث يتاح لها أن تتوارى وعندها العذر المقبول بل العذر المحمود. وإذا كان القائد خبيرًا بالحرب، قديرًا عليها، غير هيب لمخاوفها، ثم اكتفى منها بالضروري الذي لا يحيص عنه فذلك هو الرسول، تأتيه الشهادة بالرسالة من طريق القيادة العسكرية، وتأتي جميع صفاته الحسنی تبعًا لصفات الرسول" (٨٦).

إن مشاركة القائد لجنده في الصعوبات والمكاهرة، تزيد من ثقة الجنود فيه، وتقوي عزائمهم، وترفع من معنوياتهم وتلهب حماسهم القتالية، وأما إذا نأى القائد عن مشاركة الجند معاناتهم، وآثر

٨٤- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، ص ١٥، رقم: ٦٣.

٨٥- محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ٤، ص ٢٤٤.

٨٦- عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ص ٤٩-٥٠.

السلامة والنعيم، تضععت نفوس الجنود، وتناقلت عن القتال، وضعفت ثقتهم في قائدهم، وبعض القادة هباء.

### رعاية عائلات الجنود

كان صلى الله عليه وسلم خير من يخلف أصحابه في أهاليهم، إن ترك أيتاما كان لهم صلى الله عليه وسلم نعم الكفيل، ولما علم صلى الله عليه وسلم باستشهاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ذهب إلى بيته وطلب أبناءه فشمهم وقبلهم وبكى، ثم أمر أهل بيته أن يصنعوا لهم طعاما فقال: "اصنعوا لآل جعفر طعاما، فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم"<sup>(٨٧)</sup>، ثم أمهل آل جعفر ثلاثا أن يأتيهم ثم أتاهم فقال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم ادعوا لي بني أخي"، قال (أي عبد الله بن جعفر): فجيء بنا كأننا أفرخ قال (النبي): "ادعوا لي الخلاق" فجيء بالخلاق فحلقت رؤوسنا ثم قال (النبي): أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي، ثم أخذ بيدي فأشاهما فقال: "اللهم اخلف جعفرا في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه" قالها ثلاث مرات قال (أي عبد الله بن جعفر): فجاءت أمنا فذكرت يتمنا، وجعلت تفرح<sup>(٨٨)</sup> فقال (النبي): "العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟"<sup>(٨٩)</sup>.

٨٧- أبو داود، السنن، كتاب الجنائز، باب صنعة الطعام، ص ٤٥٩، رقم: ٣١٣٢، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، انظر: جامع الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت، ص ٢٤٢، رقم: ٩٩٨، وقال ابن الملقن: "هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ"، انظر: ابن الملقن الشافعي، البدر المنير في تحريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، ج ٥، ص ٣٥٥، وقال الشيخ الألباني: "حسن"، انظر: الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص ١٩٠، رقم: ١٨٩٥.

٨٨- قال أبو موسى: هكذا وجدته بالحاء المهملة، قال: وقد أصرب الطبراني عن هذه اللفظة فتركها من الحديث قال: فإن كانت بالحاء فهو من: أفرحه إذا غمه وأزال عنه الفرح وأفرحه الدين إذا أثقله، وإن كانت بالجيم فهو من: المفرح الذي لا عشيرة له، فكأن أمهم أرادت أن أباهم توفي ولا عشيرة لهم"، انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ج ٢، ص ٣٤١.

٨٩- الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، باب الجيم، جعفر بن أبي طالب، ج ٢، ص ١٠٥، رقم: ١٤٦٢، ورواه أحمد، المسند، حديث عبد الله بن جعفر، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج ١، ص ٢٠٤، رقم: ١٧٥٠، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط فقال: "إسناده صحيح على شرط مسلم"، وقال الهيثمي: "روى أبو داود وغيره بعضه، رواه أحمد والطبراني ورجالها رجال الصحيح"، انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب المغازي والسير، باب غزوة مؤتة، ج ٦، ص ٢٣٠، رقم: ١٠٢١٨، وقال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: الشيخ محمد الغزالي، فقه السيرة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص ٣٧٠.

وهذه أم الأيتام السيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها، امرأة مسنة، ذات أيتام، شديدة الغيرة، أبت الزواج بعد وفاة زوجها، وكانت تقول من هو خير من أبي سلمة؟ فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم رحمة بها وبأيتامها، وتحكي قصة زواجها فتقول: "فلما وضعت زينب جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبني، فقلت ما مثلي تنكح، أما أنا فلا ولد في وأنا غيور ذات عيال، فقال: أنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما العيال فإلى الله ورسوله فتزوجها" (٩٠). وكانت تنفق على أيتامها، وتعطف عليهم وتحرص على الأجر، وقد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الأجر في إنفاقها عليهم فقالت: يا رسول الله هل لي أجر في بني أبي سلمة أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بني؟ فقال نعم لك فيهم أجر ما أنفقت عليهم" (٩١).

#### مراعاة ظروف الجند

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدر ظروف الجنود ويواسيهم ويرفع من معنوياتهم، ولا يعاتبهم أو يعنفهم، إذا أبلوا بلاء حسنا في القتال ثم انسحبوا لمصلحة رأوها، وقد قاتل المسلمون الروم في معركة مؤتة، ولم تكن المعركة متكافئة أو حتى متقاربة، إذ كان عدد جند الروم يفوق عدد جند المسلمين أضعافا مضاعفة، لكن جند الحق بذلوا أقصى ما في وسعهم، واستشهد قادتهم فنعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للناس قبل أن يصله خبرهم، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرّفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم" (٩٢)، ومع أن المسلمين انسحبوا إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى ذلك فتحًا، وحين وصلوا

٩٠- النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، كتاب عشرة النساء، باب الحال التي يختلف فيه حال النساء، ج ٥، ص ٢٩٣، رقم: ٨٩٢٦، وانظر: ابن كثير، الفصول في سيرة الرسول، ص ٢٤٥-٢٤٦، وانظر: صحيح ابن حبان، كتاب النكاح، ذكر وصف تزويد المصطفى صلى الله عليه وسلم أم سلمة، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن"، ج ٩، ص ٣٧٢، رقم: ٤٠٦٥، وقال الشيخ الألباني: "وإسناده صحيح على شرط الشيخين"، انظر: الألباني، صحيح أبي داود، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٨١.

٩١- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النفقة والصدقة على الأقرين والزوج والأولاد، ص ٤٠٥، رقم: ٢٣٢٠.

٩٢- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة، ص ٧٢٢، رقم: ٤٢٦٢.

إلى المدينة استقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاتبهم" (٩٣).

ويوم تكالب الأعداء على المسلمين في غزوة الأحزاب، وضربوا عليهم الحصار، وضائق بجند الحق السبل، رق عليهم قلب الرسول صلى الله عليه وسلم، وفكر في وسيلة يدرأ بها عنهم شر عدوهم إلى حين، حتى لو كان ذلك مقابل مال يدفعه إلى عدوه، وحين هم صلى الله عليه وسلم بعقد صلح مع غطفان على أن يرجعوا، ويعطيهم ثلث ثمار المدينة، أبى أصحابه الكرام واختاروا الصبر والصمود في وجه الأعداء، وقالوا له: يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه؟ أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال بل شيء أصنعه لكم" ... فقال سعد بن معاذ: والله ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال ليجهدوا علينا" (٩٤).

وحين عزم صلى الله عليه وسلم على فتح مكة، قام الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه بإرسال كتاب مع جارية يخبر فيه أهل مكة بعزم النبي صلى الله عليه وسلم على فتحها، فأخبر الوحي النبي صلى الله عليه وسلم فأمر علياً رضي الله عنه أن يدرك الجارية وهي في طريقها إلى مكة ويأخذ منها الكتاب ومع أن ما قام به حاطب خيانة كبيرة تستوجب عقوبة رادعة، إلا أن نبي الرحمة استمع إلى تبريره وتأثر له وفاضت رحمته عليه، فعفا عنه وسامحه، ونهى عن التعرض له بالقول والفعل فقال صلى الله عليه وسلم: "صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً" (٩٥)، وسد كل ذريعة للنيل منه، وحين اتهمه عمر رضي الله عنه بالنفاق، واستأذنه في قتله، بقوله: "إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلا ضرب عنقه" قال

---

٩٣- انظر: الإمام أحمد، المسند، حديث عبد الله بن جعفر، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج ١، ص ٢٠٤، رقم: ١٧٥٠، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط فقال: "إسناده صحيح على شرط مسلم"، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥، ص ٣٣، وقال الشيخ الألباني: "هو على شرط مسلم"، انظر: الألباني، إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل، باب الوكالة، ج ٥، ص ٢٨٥.

٩٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٢٣، وقد رواها الطبراني عن عبدان بن أحمد و زكريا الساجي قالاً: ثنا عقبه ابن سنان الذراع ثنا عثمان بن عثمان الغطفاني ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، انظر: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٩٨٣م، ج ٦، ص ٢٨، رقم: ٥٤١٦، وقال الهيثمي: "رواه البزار والطبراني ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقيته رجاله ثقات"، انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب المغازي والسير، باب غزوة الخندق، ج ٦، ص ١٩١، رقم: ١٠١٤١.

٩٥- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، ص ٦٧٢، رقم: ٣٩٨٣.

صلى الله عليه وسلم: "أليس من أهل بدر؟" فقال لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم" (٩٦).

ولا يظن ظان أن عفوهُ صلى الله عليه وسلم عن حاطب رضي الله عنه يشجع على الخيانة، بل إن موقفه يعلمنا ما ينبغي أن يكون عليه القائد من رحمة مع جنده، ولا يجعل أخطاءهم مطية للشدة عليهم، ولا ينسى لهم فضلهم، وحسن بلائهم حين يضعفون، بل يضمهم تحت جناحيه، ويسيطر عليهم ريش عطفه وحنانه، ويقيهم بالعفو عنهم من التماذي في الخطأ، ويحفظ لهم صفحاتهم البيضاء من أن تطاها ألسنة سليطة، وتسودها أياد ظالمة، ويفيض برحمته على الجميع، حماية لهم من هذا المزلق الخطير، ورغم هذا الخطأ الكبير الذي ارتكبه حاطب رضي الله عنه، لم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يرسله سفيرا عنه إلى المقوقس عظيم القبط (٩٧).

#### دعاء القائد لجنده

حين يتوجه القائد إلى الله تعالى بالدعاء لجنوده بالثبات والنصر، وتفيض نفسه بالمشاعر الصادقة المليئة بالعطف والحنان ويكثر من التضرع والإلحاح في دعائه، يكون بذلك قد آوى إلى ركن شديد، وتزود بقوة كبيرة، تجعل نفوس الجند مستقرة وصلتهم بالله تعالى قوية، وصفوفهم متماسكة، وعلاقتهم بقائدهم متينة، وهمتهم عالية وثقتهم في النصر كبيرة.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو لجنوده في المواطن كلها، ولما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فإزال يهتف بربه، مادا يديه، مستقبلا القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفأك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك" (٩٨).

٩٦- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، ص ٦٧٢، رقم: ٣٩٨٣.

٩٧- انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦، ص ١٤، وانظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر حاطب بن أبي بلتعة، ج ٣، ص ٣٣٩، رقم: ٥٣٠٥، وانظر: أحمد بن عمرو الشيباني، الأحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١م، ج ١، ص ٥١٢.

٩٨- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، ص ٧٨١-٧٨٢، رقم:

وفي غزوة الخندق دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال: "اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزمهم" (٩٩).

وعلى الجند أن يثبتوا في الميدان، ويكثروا من ذكر الله تعالى، ويستغيثوا به عند لقاء العدو، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِجَةً فَأَتَّبَتْهُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠٠)، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (١٠١).

وليس الذكر مجرد كلمات يتمم بها الجند، دون وعي وشعور بها، إنه بلسم شاف، يقطع تردد النفس ومصارعها لحب البقاء، ويمنع خوفها من الموت واضطرابها، كما أنه علاج ناجع، للتوترات العصبية، والضغط النفسى والوساوس التي تساور الجند في ساحة القتال، ويجعلهم يعتصمون بحبل الواحد القهار، هذا الحبل الذي يمددهم بالنور والطاقة المتجددة، فتستقر نفوسهم، وتتعاظم قوتهم، ويصغر العدو في أعينهم، وبذلك يكون الذكر، من أهم الأسلحة الفتاكة التي ينبغي أن يحرص عليها القادة، ويتربى عليها الجيش الإسلامى، لينالوا رضا الله تعالى، ويثبتهم عند اللقاء، ويكتب لهم النصر على أعدائهم.

### المبحث الثالث: مظاهر التميز في بناء الجيش

كشفت المعارك التي خاض النبي صلى الله عليه وسلم غمارها، أنه في كل شيء القمة التي لا يرقى إليها غيره، فخلال عشر سنوات قضاها في المدينة كان يدير أعماله العسكرية من غزوات وسرايا، بإحكام وسرعة فائقة، وحنكة بالغة، وقد حقق انتصارات عظيمة بفضل قيادته العسكرية الفذة، وتفاني جنوده في حبه وطاعته، وحره العادلة وتضعف قوات الأعداء وتقهرهم، وفوق ذلك كله فقد طور فنون القتال والدفاع، وغيرها، وهذه صورة موجزة عن بعض الأعمال التي تميزت بها شخصيته العسكرية في بناء الجيش، تتضمنها المطالب التالية:

### المطلب الأول: تطوير الجيش، ومن أهم مظاهره

#### ١- الجدة في تشكيل الجيش

ظهر الجيش الإسلامى في صورة جديدة وهو يخرج إلى الغزوات، حيث قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتعديلات مهمة في تشكيل الجيش وتنظيمه، وترتيبه وتوزيعه، وكما هي العادة في ذلك الزمان،

٩٩- صحيح البخارى، كتاب المغازى، باب غزوة الخندق، ص ٦٩٧، رقم: ٤١١٥.

١٠٠- سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

١٠١- سورة الأنفال، الآية: ٩.

فإن الجيش يقسم إلى خمسة أقسام:

\* حراس المقدمة.

\* قوات رئيسة في قلب الجيش.

\* قوات الميمنة.

\* قوات الميسرة.

\* حراس المؤخرة.

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الجيش في غزوة الفتح يتحرك بفواصل معينة، ليكون في مأمن من المفاجأة، ويتقي الوقوع في الكمائن، كما أنه جعل أمام القوات وعلى جوانبها دوريات استطلاعية لرصد أخبار العدو، والإنذار المبكر، كي يتسنى للجيش فتح التشكيل والاستعداد للمواجهة، وقد قسمه إلى أربعة كتائب، تدخل مكة من أربعة جهات في نفس الوقت، وقد حطمت هذه الخطة معنويات جيش قريش، ولم يستطع المقاومة، وأعلن استسلامه (١٠٢).

## ٢- سرعة الحركة

أمر الله تعالى بالأخذ بأسباب النصر، وبذل الجهد حسب الاستطاعة، والطاقة والإمكان، في استفاد كل الوسائل والآلات الحربية لمواجهة الأعداء، وذكر من بين هذه الوسائل، التدريب على الرمي، وركوب الخيل، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (١٠٣)، والقوة هي الرمي (١٠٤)، ورباط الخيل هو اقتناؤها وحبسها للغزو عليها في سبيل الله تعالى (١٠٥)، وهذان السلاحان لهما تأثير كبير في حسم المعركة، فالرمي سواء كان بالسهم أو بالرصاص أو بالمدفعية والطيران والصواريخ، يمكن الرامي من عدوه، ومن تفوق في الرمي كان هو المنتصر ولكن مهما بلغت قدرة الرمي، في تحطيم قوات العدو وتدميرها، فإنها لا تستطيع السيطرة على الأرض وإنما الذي يقوم بذلك قديما هم الفرسان، لما تتميز به الخيل من الخفة وسرعة الحركة، والالتفاف والتطويق والمهجوم والحسم في المعارك، والاستيلاء على الأرض، وهذا ما تقوم به المدرعات في عصرنا الحاضر.

١٠٢- انظر: الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٨٠٠.

١٠٣- سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

١٠٤- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، ص ٨٥٧، رقم: ٤٩٤٦.

١٠٥- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسا، ص ٤٧٢، رقم: ٢٨٥٣.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يأمر جنده بالتدريب على الرمي وركوب الخيل، لعلمه بأهميتها الكبرى، فيقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي" (١٠٦).

ومر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم يتتصلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا، ارموا وأنا مع بني فلان، قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ارموا فأنا معكم كلكم" (١٠٧).

ونالت الخيل مكانة مرموقة في نفس النبي صلى الله عليه وسلم حيث أحبها وأعزها وأكرمها، فقال: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم" (١٠٨) وقال: "البركة في نواصي الخيل" (١٠٩).

ودعا إلى اقتنائها في سبيل الله تعالى، فقال: "من احتبس فرسا في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة" (١١٠).

وأوصى بالعناية بها، والمحافظة عليها، والإنفاق عليها، فقال: "الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر ذلك وزر" (١١١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المنفق على الخيل كالمتكف بالصدقة"، فقلنا لمعمر: ما المتكف بالصدقة؟ قال: الذي يعطي بكفيه" (١١٢).

وخلال فترة وجيزة تتراوح بين سبع سنوات، تمكن النبي صلى الله عليه وسلم بفضل مهارته

- 
- ١٠٦- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، ص ٨٥٧، رقم: ٤٩٤٦.
- ١٠٧- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، ص ٤٧٩، رقم: ٢٨٩٩.
- ١٠٨- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، ص ٤٧٢، رقم: ٢٨٥٢.
- ١٠٩- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ص ٤٧٢، رقم: ٢٨٥١.
- ١١٠- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسا، ص ٤٧٢، رقم: ٢٨٥٣.
- ١١١- المصدر السابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل، ص ١٢٦٥، رقم: ٧٣٥٦.
- ١١٢- محمد بن حبان، صحيح ابن حبان يترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م، ج ١٠، ص ٥٣٠، قال شعيب الأرنؤوط: "حديث صحيح".

العسكرية، أن يرفع عدد الفرسان الذين كانوا لا يتجاوزون سوى فارسين من بين ثلاثمائة وبضعة عشر من المشاة في غزوة بدر<sup>(١١٣)</sup>، إلى عشرة آلاف فارس في غزوة تبوك التي بلغت فيها قوة الجيش الإسلامي ثلاثين ألف مقاتل<sup>(١١٤)</sup>.

واستخدم النبي صلى الله عليه وسلم الخيل خير استخدام، حيث كانت أفضل وسيلة لحسم المعركة، وإنجاز المهام بسرعة فائقة، وقد كانت السرايا التي يرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة، تقوم بمهام كثيرة ومتنوعة، وتنجز أعمالها في وقت قياسي، ولا يحس بها العدو إلا وقد أحاطت به، تاركة إياه مذعورا، كما حدث في الرجيع، وبئر معونة<sup>(١١٥)</sup>، وتأديب المجرمين<sup>(١١٦)</sup>.

وقد أثبت الجيش الإسلامي قدرته على قطع المسافات الطويلة في مدة قصيرة، مع صبره على تحمل صعوبات العيش والتأقلم مع تقلبات المناخ<sup>(١١٧)</sup>.

**المطلب الثاني: تطوير أساليب القتال، ومن مظاهره**

#### ١- القتال بالصفوف

اشتهر العرب في قتالهم بأسلوب الكر والفر، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ابتكر أسلوبا جديدا في القتال، وهو القتال بالصفوف، حيث يصطف الجنود إلى جانب بعضهم بعضًا وتلتصق نهاية الصف الأول مع أول الصف الثاني فيتكون من المجموع شكل هندسي، ويقف الجميع في مواجهة العدو وظهورهم محمية إلى الداخل، وبهذا الشكل لا يستطيع العدو مهاجمتهم من الخلف، لأنه حيثما اتجه كان الجنود في مواجهته، وهذه الطريقة المبتكرة في القتال أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَنٌ مَّرْصُوفٌ﴾<sup>(١١٨)</sup>.

وقد طبق هذا الأسلوب لأول مرة في تاريخ الحروب في غزوة بدر، وهو سبق عسكري تميز به

١١٣- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ص ٦٦٨-٦٦٩، رقم: ٣٩٥٧.

١١٤- انظر: محمد بن عمر بن واقد، المغازي، ج ٣، ص ١٠٤١.

١١٥- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة، ص ٦٩١، رقم: ٤٠٨٦.

١١٦- المصدر السابق، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا، ص ١١٧٢، رقم: ٦٨٠٤.

١١٧- انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٩، ص ٥٤٩.

١١٨- سورة الصف، الآية: ٤.

النبي صلى الله عليه وسلم في تطوير أساليب القتال، كما قام بترتيب الجند في مواضعهم وتهيئتهم للمعركة، واتسمت توجيهاته لهم بالجدة والابتكار حيث أمرهم أن لا يرموا المشركين بالنبال حتى يقتربوا منهم، ويكونوا في مرمى سهامهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أكثبوكم - يعني أكثركم - فارموهم" (١١٩). قال ابن حجر: "المعنى إذا قربوا منكم فأمكنوكم من أنفسهم فارموهم" (١٢٠)، "لأنهم إذا رموهم على بعد قد لا تصل إليهم وتذهب في غير منفعة" (١٢١).

كما أمرهم صلى الله عليه وسلم بالاستبقاء على نباهم إلى حصول المصادمة، كي تصيب نباهم هدفها، ولا تضيع سدى فقال: "واستبقوا نبلكم" (١٢٢).

٢- استعمل صلى الله عليه وسلم الأنساق القتالية، وتشكيل قوة احتياطية خفيفة الحركة في يد القائد، لتطوير الهجوم ومطاردة العدو والالتفاف والتطويق على الجوانب عند الحاجة، ومعالجة المواقف المفاجئة، وحماية الجوانب من المشاة والفرسان.

٣- استخدم صلى الله عليه وسلم أسلوب القتال التعطيلي ورتل المسير والتحرك الليلي، حيث كان في غزوة الفتح يسير في الليل ويكمن بالنهار لتحقيق عنصر المفاجأة.

#### ٤- الحرب النفسية

قال صلى الله عليه وسلم: "الحرب خدعة" (١٢٣)، ومن هذه الخدعة، سلاح الحرب النفسية، الذي يبلبل صفوف الأعداء، ويفرق جمعهم ويحطم معنوياتهم، ويدخل الوهن في قلوب المحاربين، ويكون الطابور الخامس في صفوفهم.

وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم السلاح النفسي في تقوية نفوس جيشه، ورفع معنوياته، ففي غزوة بدر كان صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بمصارع صناديد الكفر، ويحدد بدقة متناهية الأماكن التي يقتلون فيها، ويقول لأصحابه رضي الله عنه، هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض، يسميهم واحدا واحدا، روى مسلم بسنده أن عمر رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: "هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله"، قال فقال عمر: فوالذي

١١٩- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، ص ٦٧٢، رقم: ٣٩٨٥.

١٢٠- ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٣٠٦.

١٢١- المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٢.

١٢٢- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، ص ٦٧٢، رقم: ٣٩٨٥.

١٢٣- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، ص ٥٠٠، رقم: ٣٠٢٩.

بعثه بالحق، ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٢٤). ولما بلغت القلوب الحناجر في غزوة الأحزاب، طمأن النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، ورفع من معنوياتهم النفسية إلى عنان السماء، حين بشرهم بفتح فارس والروم (١٢٥). كما أنه صلى الله عليه وسلم استعمل نفس السلاح النفسي في سلب عقول الأعداء، وتحطيم معنوياتهم، وجعلهم في حالة من الارتباك والذهول، فكان يرسل سرايا كثيرة لتقصي أخبار أعدائه، وإلقاء الخوف في نفوسهم، حتى لا يفكروا في مهاجمة المسلمين وفي غزوة الفتح أمر النبي صلى الله عليه وسلم كل جندي في جيشه أن يشعل نارًا، ليلقوا الرعب في قريش فأوقدوا عشرة آلاف نار (١٢٦). ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم الرعب يتسلل إلى قلب أبي سفيان، لتضعف نفسه، ولا يفكر في المقاومة، فقال للعباس رضي الله عنه: "احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين"، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة قال يا عباس من هذه؟ قال هذه غفار، قال مالي ولغفار، ثم مرت جهينة، قال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك" (١٢٧). وانهارت نفسية أبي سفيان، وهرع إلى قومه مسرعًا، يحذرهم مغبة مواجهة جيش المسلمين، وعدم جدوى القتال، ويأمرهم بالاستسلام. لقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم على إيجاد الهيبة العسكرية لجيشه في قلوب أعدائه، الذين تملكهم الخوف، وفقدوا السيطرة على نفوسهم فصاروا يهابونه على بعد مسافة شهر، ومهدت له هذه الهيبة الطريق لتحقيق النصر العسكري في ميادين القتال، قال صلى الله عليه وسلم: "نصرت بالرعب مسيرة شهر" (١٢٨).

- 
- ١٢٤- صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، ص ١٢٤٤، رقم: ٧٢٢٢.
- ١٢٥- المصدر السابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين، ص ١٢٥٦، رقم: ٧٢٨٤.
- ١٢٦- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح، ص ٧٢٤، رقم: ٤٢٨٠.
- ١٢٧- المصدر السابق، ص ٧٢٤، رقم: ٤٢٨٠.
- ١٢٨- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: نصرت بالرعب مسيرة شهر، ص ٤٩٢، رقم: ٢٩٧٧.

## ٥- قتال المدن والأحراش

استخدم صلى الله عليه وسلم أسلوب قتال المدن والأحراش (١٢٩)، في غزوة بني النضير وخيبر وبني قريظة (١٣٠)، للاستيلاء على حصونها المنيعة حيث كان يوجه قوات صغيرة لتلك الحصون لإلهاء عدوه، ويركز هجومه بقواته الرئيسية على حصن واحد، ثم ينتقل من حصن لآخر (١٣١)، كما أنه يقسم قواته حسب قبائلها وبطونها، ويختار لكل قبيلة قائدا منها، ليرفع من شدة التنافس بينها، ويمنح قواته فرصة للراحة والتناوب.

٦- استعمل صلى الله عليه وسلم أسلحة لم تكن معروفة في البيئة العربية، مثل المنجنقات والدبابات في حصار الطائف (١٣٢).

## ٧- المفاجأة

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب المفاجأة في صراعه مع أعدائه، فقد فاجأهم بتوقيت الهجرة، وسلوك طريق جديد إلى المدينة، فلم يستطيعوا اللحاق به، وفاجأهم في غزوة بدر بأسلوب جديد في القتال، وهو القتال بالصفوف وفي غزوة الأحزاب فاجأهم بالخندق وفي غزوة خيبر أتاهم ليلا ولم يعلموا به حتى الصباح، فعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا، وكان إذا أتى قوما بليل لم يغز بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم (١٣٣) ومكاتلهم (١٣٤)، فلما رأوه قالوا محمد والله محمد والخميس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين" (١٣٥)، وفاجأ المشركين بعشرة آلاف مقاتل في غزوة الفتح (١٣٦).

فالمفاجأة التي تعتمد على اختيار الوقت المناسب والمكان ونوع السلاح الذي لا يتوقعه العدو، تفرغ الأعداء وتشتت صفوفهم، وتدخل الرعب في نفوسهم وتحطم معنوياتهم وتشل حركتهم، قبل

١٢٩- الأرض المغطاة بالأشجار.

١٣٠- انظر: محمد شيت خطاب، الرسول القائد، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٠م، ص ٤٦٢.

١٣١- انظر: الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٥٠٠-٥٠١، وانظر: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٠٠.

١٣٢- انظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٢٧.

١٣٣- مساحيهم: "جمع مسحاة وهي من آلات الحرب"، انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٧، ص ٤٦٨.

١٣٤- مكاتلهم: "جمع مکتل وهو الفقة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره"، فتح الباري، ج ٧، ص ٤٦٨.

١٣٥- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ص ٧١٣، رقم: ٤١٩٧.

١٣٦- المصدر السابق، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، ص ٧٢٤، رقم: ٤٢٧٦.

أن تفتك بهم.

#### ٨- تنظيم التعاون بين القوات القتالية

كان صلى الله عليه وسلم يحدد مهام القوات المشتركة في القتال، وينظم التعاون بينها، وكانت القوات في ذلك الزمان تتكون من الفرسان الذين لديهم سرعة الحركة، والرماة الذين يتمركزون في مواقع السيطرة، وقوات رئيسة في الميدان، وقد كان التنسيق بين هذه القوات على درجة عالية من الدقة، كما حدث في غزوة أحد حيث اختار النبي صلى الله عليه وسلم خمسين من الرماة بقيادة عبد الله بن جبير رضي الله عنه، وأوصاهم قائلاً: "إن رأيتمونا نخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم" (١٣٧).

وبذلك سد صلى الله عليه وسلم على فرسان العدو، الثغرة الوحيدة التي قد ينفذون من خلالها، ويلتفون على صفوف المسلمين ويطوقونهم وقسم الجيش إلى ميمنة وميسرة، وجعل في مقدمة الصفوف مجموعة من المقاتلين الشجعان، واختار إقامة معسكره في مكان مرتفع ليحتمى به ولا يضطر للفرار حين الهزيمة، ويكبد عدوه خسائر كبيرة إذا حاول اقتحام المعسكر، كما حوى ميمنته وظهره بارتفاع الجبل، وحوى ميسرته بالرماة المتمركزين فوق الجبل، الذين رشقوا بنابلهم فرسان العدو وأرجعوهم خائبين حين حاولوا ثلاث مرات كسر الميسرة ليتوصلوا إلى ظهور المسلمين.

وهذه الخطة التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم للقتال، ونظم فيها التعاون بين القوات المشتركة في المعركة، كانت في غاية الدقة والإحكام، وهي تدل على كفاءته العسكرية المتميزة.

#### ٩- تتابع البعث الاستطلاعية

كانت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم تتميز بالاستباق، حيث يرسل بعوث الاستطلاع التي كانت تسمى بالسرايا، إلى المناطق المحيطة بالمدينة وغيرها، وقد قارب عددها سبعين سرية (١٣٨)، وكانت تقوم بوظائف متعددة، فترصد حركة الخصوم حتى يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ما يفكر فيه أعداؤه، ولا يفاجأ بما لم يكن في الحسبان، وإظهار قوة المسلمين، وفرض هيبتهم في الداخل والخارج يقول العقاد في سرية عبد الله بن جحش: "أما غرض البعثة كلها وهو الاستطلاع، فقد كان النبي عليه السلام عليماً بمزاياه، معنياً به غاية العناية، يحسب العدو المجهول، كالعدو المستتر بأسوار الحصون في حى من

١٣٧- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، ص ٥٠١، رقم: ٣٠٣٩.

١٣٨- ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ص ١٥٤.

الجهل به قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية في الوقت الضروري، ويحول من ثم دون الانتصار عليه" (١٣٩).

وقد أضاف النبي صلى الله عليه وسلم أمرا جديدا لعملية الاستطلاع، حين جعل المشاركة فيها لمن لديهم الرغبة للقيام بهذه المهمة، حتى تحقق الأهداف المتوخاة منها على أكمل وجه، قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جحش حين أرسله أميرا على سرية: "اخرج أنت وأصحابك حتى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر فيه فما أمرتك فيه فامض له، ولا تستكرهن أحدا من أصحابك على الذهاب معك"، وبعد يومين فتح عبد الله بن جحش الكتاب وقال لأصحابه: "وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فمأض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد" (١٤٠).

#### ١٠- ابتكار الرسائل المكتومة

يتباهى الألمان في العصر الحديث بابتكارهم الأوامر المكتومة في الحروب، وهي تلك الأوامر التي تصدر إلى قواد سرايا وتكون مختومة، ولا تفتح إلا بعد زمن معين، أو عند مكان محدد، لتكون تلك الأوامر بعيدة عن متناول الجواسيس، ولا تمنح الفرصة الكافية للعدو بالاستعداد، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سباقا في الرسائل المكتومة، حيث أرسل صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش في سرية ومعه كتاب، أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه، فإذا فيه: "إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم"، فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعا وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فمأض

١٣٩- العقاد، عبقرية محمد، ص ٤١.

١٤٠- رواه سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ١٦٢، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات"، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٦، ص ٢٩٤، ورواه أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٩٨٤م، ج ٣، ص ١٠٢، وقال حسين سليم أسد: "إسناده حسن".

لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد" (١٤١). فتوغلت هذه السرية في المناطق الخاضعة لنفوذ قريش وحقت أهدافها، فاحتارت قريش في أمرها، ومما زاد من دهشتها وذهولها تلك السرية التامة والدقة المتناهية التي تمت بها العملية، حتى إن جواسيسها لم تستطع رصد السرية ولا معرفة الوجهة التي قصدتها، وكان ذلك ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطط له بابتكاره أسلوب الرسائل المكتومة للمحافظة على الكتمان وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيده عن تحرك المسلمين، والكتمان أهم عامل من عوامل مبدأ المباغثة، وهي أهم مبدأ من مبادئ الحرب (١٤٢).

#### ١١- تغيير موازين القوى

تجمعت القبائل العربية بعد فتح مكة، وأرادت أن تضرب المسلمين عن قوس واحدة، وتسحقهم إلى الأبد، فخرج إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم واجتمع الفريقان في حنين، وكان المشركون قد كمنوا للمسلمين، فلما مروا بهم، انقضوا عليهم فجأة حتى ولو مدبرين وتعالصت الصيحات بانتصار الأعداء، وهزيمة المسلمين، فتقدم الرسول صلى الله عليه وسلم وشق صفوف الأعداء وهو يقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"، وحول الهزيمة إلى نصر عظيم، ودلت الحروب التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم على أنه قائد عسكري لا نظير له، ولكن علينا دوماً في أي دراسة للشخصيات أن نأخذ بعين الاعتبار الظروف الزمانية والمكانية التي تواجدت فيها تلك الشخصيات، يقول الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد: "حينما نتعقد المقارنة بين المعارك القديمة والمعارك العصرية ينبغي أن ننظر إلى فكرة القائد، قبل أن ننظر إلى ظواهر المعارك أو إلى أشكالها وأحجامها. فلا معنى لمقارنة بالظواهر تنتهي إلى نتيجة واحدة، هي استنسخام الحرب الحديثة، والنظر إلى القيادة الغابرة كأنها شيء صغير بجانب القيادة التي توجه هذه الضخامة، لكننا إذا نظرنا إلى فكرة القائد أمكننا أن نعرف كيف أن توجيه ألف رجل، قد تدل على براعة في القيادة لا نراها في توجيه مليون. بينهم الراجل والراكب، ومنهم

١٤١- أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، ج ٩، ص ٥٨، ورواه الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢، ص ١٦٢، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات"، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٦، ص ٢٩٤، ورواه أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، المسند، ج ٣، ص ١٠٢، وقال حسين سليم أسد: "إسناده حسن"، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٤٧.

١٤٢- للمزيد من الاطلاع انظر: شيب الخطاب، الرسول القائد، ص ٩٤، وانظر: محمود الدرة، معارك العرب الكبرى، ص ٢٣٥-٢٤٣.

من يركبون كل ما يركب من مخلوقات حية وآلات مخترعة وهذه الفكرة هي التي ترينا محمدا عليه السلام قائدا حربيا بين أهل زمانه بغير نظير في رأيه وفي الإقناع بمشورة صحبه وتبرز لنا قدرته النادرة بين قادة العصور المختلفة، في توجيه كل ما يتوجه على يدي قائد من قوى الرأي والسلاح والكلام وهذه القدرة هي شهادة كبرى للرسول تأتي من طريق الشهادة للقائد الخبير بفنون القتال" (١٤٣).

المطلب الثالث: تطوير أساليب الدفاع، ومن مظاهره:

#### ١- حفر الخندق

أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأي سلمان الفارسي رضي الله عنه في حفر الخندق في غزوة الأحزاب، ولكنه صلى الله عليه وسلم هو من تولى تطوير الرسم الهندسي للخندق ليخدم الخطة الدفاعية عن المدينة، فاختار مكان الحفر وعين لهم أبعاده الهندسية، روى البيهقي بسنده أن عمرو بن عوف قال: كنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعا، فحفرنا حتى إذا بلغنا الثدي أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة، فكسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة، فإننا إن نعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإننا لا نحب أن نجاوز خطه، فرقي سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله، بأبينا أنت وأمنا، خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فإننا لا نحب أن نجاوز خطك" (١٤٤).

قال ابن سعد: "فكان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج (١٤٥) إلى ذباب (١٤٦)، وكانت الأنصار يحفرون من ذباب إلى بني عبيد وكان سائر المدينة مشبكا بالبنيان، فهي كالحصن وخندقت بنو عبد الأشهل عليها مما يلي راتج إلى خلفها، حتى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند جربا إلى موضع دار بن أبي الجنوب اليوم، وفرغوا من حفره في ستة أيام" (١٤٧).

١٤٣- العقاد، عبقرية محمد، ص ٤٨.

١٤٤- أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط ١، ١٩٨٨م، ج ٣، ص ٤١٨، رقم: ١٣٠.

١٤٥- أطم (حصن) من أطام بالمدينة وتسمى الناحية به، انظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢.

١٤٦- جبل بالمدينة، انظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج ٣، ص ٣.

١٤٧- محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٦٦-٦٧.

وجعل صلى الله عليه وسلم كل عشرة أناس، يحفرون أربعين ذراعاً (١٤٨)، وكان عدد العاملين ثلاثة آلاف رجل، فيكون طول الخندق اثنا عشر ألف ذراع، وهو ما يعادل ستة كيلومترات، كما أن عرضه ستة أمتار، وعمقه خمسة أمتار، وقد تفاجأ به الأعداء، وأصابهم الذهول، إذ لم يعدوا مثله من قبل أبداً، ولم يكن معروفاً في شبه الجزيرة العربية، ولم يستطع الأفراد ولا الفرسان تجاوزه وباءت كل محاولاتهم بالفشل، وتوقف زحفهم، فسلط الله عليهم ريحاً شديدة البرد، في ليل شاتية، فانصرفوا يجرّون أذيال الهزيمة، وعادوا إلى ديارهم خائبين.

## ٢- تأمين المناطق الإدارية

اهتم صلى الله عليه وسلم بالشؤون الإدارية للحرب، كالتأمين وإسعاف الجرحى، وكل المواقع المهمة، يجعلها خلف الخطوط، بعيدة عن متناول العدو، وعندما عسكر المسلمون في غزوة بدر في أدنى من بئر بدر، أشار الحباب بن المنذر رضي الله عنه على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل البئر خلف خطوط المسلمين، فتم تأمين هذا الموقع الإداري المهم (١٤٩).

## ٣- حسن اختيار مواقع التحكم والسيطرة

لما كان جبل عينين في غزوة أحد نقطة مهمة في السيطرة على أرض المعركة وحماية الجوانب ومؤخرة المسلمين، اختاره النبي صلى الله عليه وسلم للرماة، وأوصاهم بعدم تركه لأي سبب كان، لكن الرماة خالفوا الأوامر، وأخلوا موقعهم من أجل الغنائم، فانتهزت قوات العدو الفرصة وقامت بعملية الالتفاف والتطويق، وانقضت على المسلمين، فعن البراء رضي الله عنه قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله وقال: "لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا، فلا تعينونا"، فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا، صرفت وجوههم، فأصيب سبعون قتيلاً" (١٥٠).

وظهرت براعته العسكرية عند مسير الجيش الإسلامي لفتح مكة، حيث حدد النبي صلى الله عليه وسلم للقوات المتمركزة على الأرض مواقع معينة للانضمام إلى القوة الرئيسية في تشكيل المسير،

١٤٨- أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة، ج ٣، ص ٤١٨، رقم: ١٣٠٦.

١٤٩- انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٦٧.

١٥٠- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ص ٦٨٤-٦٨٥، رقم: ٤٠٤٣.

فكانت القبائل تنضم للجيش الإسلامي عند هذه النقاط لا تتجاوزها وقد أصبح هذا الأسلوب من أحدث الأساليب في تشكيل المسير في الحروب الحديثة.

#### المطلب الرابع: الإنجازات السياسية للحرب

لم تكن الإنجازات العسكرية التي يحققها الرسول القائد في الحروب نهاية المطاف، بل كان دوماً ينظر ويفكر فيما هو أبعد من ساحة المعركة، ويسعى إلى تحقيق انتصارات سياسية كبيرة، من خلال الاهتمام بالجبهة الداخلية كي لا يؤخذ المسلمون على حين غرة، وتأمين طريق الدعوة الإسلامية وحماتها، وعقد المعاهدات والتحالفات مع القبائل العربية، وتضييق مساحة حركة الخصوم والأعداء، ومنع تحالفهم ضد المسلمين، وتوجيه ضربات شديدة للطرق التجارية التي كان يسلكها أعداؤه مما أدى إلى كساد اقتصادهم، وضعف قوتهم، وهو بذلك صلى الله عليه وسلم كان سباقاً في هذا الأمر الذي يسمى في مفاهيم العسكرية الحديثة، "تحقيق الأهداف العليا للدولة" (١٥١).

وعملاً بهذا الفكر العسكري المتقدم، لم يكن صلى الله عليه وسلم يفتح جبهات قتالية مع جميع أعدائه، بل كان يبطش بهم متفرقين وعندما قدم المدينة عقد اتفاقية مع اليهود ليأمن شرمهم، ويمنعهم من مؤازرة أعدائه، ويتفرغ لقريش، التي هدد تجارتها (١٥٢)، ثم عقد معها صلح الحديبية الذي حقق به إنجازات كبيرة للدعوة الإسلامية (١٥٣)، ولما انتصر في غزوة بدر لم يستطع يهود بني قينقاع كتم حقدهم وبغضهم للمسلمين، فغدروا ببعض نساء الأنصار، فحاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأجلاهم عن ديارهم، وبقي على عهده مع سائر اليهود، ولم يؤاخذهم بجريرة غيرهم، ثم جاء دور بني النضير وتآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فطلب منهم الرسول الجلاء عن ديارهم، فأبوا وتحصنوا في حصونهم، فنازلهم المسلمون وتغلبوا عليهم وأجلوهم عن ديارهم، وبقي النبي صلى الله عليه وسلم على عهده مع يهود بني قريظة ولم يعاقبهم على ما اقترفه بنو النضير، مع أنهم كانوا يضمرون له شراً، ويتتظرون الفرصة ليغدروا به، وقد جاءتهم في غزوة الأحزاب، فنقضوا الميثاق، وأظهروا ما في قلوبهم من بغض وعداوة للرسول صلى الله عليه وسلم وأعلنوا الحرب عليه وانضموا للأحزاب وبعدهما حقت الهزيمة بالأحزاب،

١٥١- انظر: اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ، العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية، ص ١٦٧.

١٥٢- انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط ٦،

١٩٨٧م، ص ٥٩-٦٢.

١٥٣- صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية، ص ٧٩٥-٧٩٦، رقم: ٤٦٣٢، وانظر: صحيح البخاري،

كتاب الصلح، باب الصلح بين الغرماء، ص ٤٤٣، رقم: ٢٧٠٩.

وتفرق شملهم، وردهم الله خائبين، توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة وحاصرهم وأوكل أمرهم إلى حليفهم السابق سعد بن معاذ الذي حكم عليهم بالخيانة الكبرى، وتم القضاء عليهم، ثم جاء بعد ذلك دور يهود فدك ويهود وادي القرى ويهود خيبر<sup>(١٥٤)</sup>، فتغلب عليهم جميعا وبذلك استطاع أن يكسر شوكة أعدائه ويبطل مكرهم ويزيجهم من طريقه دون أن يثيرهم جميعا عليه في وقت واحد، وما كان هذا النصر العظيم ليتحقق لولا عون الله تعالى، وبراعته صلى الله عليه وسلم في التفكير في الأهداف العليا للدولة.

يقول مارسيل بوازار: "وكما يظهر التاريخ محمدا صلى الله عليه وسلم قائدا عظيما ملأ قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحا، قوي الشكيمة، له سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة، وتعطي كل صاحب حق حقه، ولقد استطاع بدبلوماسية ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالفه، وإذا تذكرنا أخيرا على الصعيد النفساني هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لا بد أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانا فوق مستوى البشر حقا وأنه لا بد أن يكون نبيا حقيقيا من أنبياء الله"<sup>(١٥٥)</sup>.

### ردع العدو

لما أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين، خرج إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقاتلهم في غزوة بدر، وأحد، والأحزاب وغيرها، وحين هم الروم بالعدوان على المسلمين في ديارهم، لم يتركهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقرعوا أبواب المدينة، بل أرسل إليهم جيشه وقاتلهم، ومع أن المعركة لم تكن متكافئة أوحى متقاربة، إذ كان عدد جند الروم يفوق عدد جند المسلمين أضعافا مضاعفة، فقد بذل جيش المسلمين أقصى ما في وسعه، ومنع الروم من التفكير في غزو ديار المسلمين.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يحسن إلى أعدائه المسالمين ويبرهم عملا بقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ

١٥٤ - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ص ٦٨٠،

رقم: ٤٠٢٨.

١٥٥ - مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٤٦.

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْبَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٥٦﴾، لكنه في نفس الوقت يقوم بإعداد القوة اللازمة التي تردع العدو وتجعل المسلمين قادرين على حماية أمن دولتهم من أي اعتداء عليها، امتثالاً لأمر الله تعالى القائل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿١٥٧﴾.

وإعداد القوة يتضمن جميع عناصرها التي لا تنحصر في الناحية العسكرية فقط، بل تشمل القوة الاقتصادية والسياسية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وغيرها، كي تكون دولة الإسلام قوية متحضرة، قادرة على حماية نفسها وتحقيق أمنها الداخلي والخارجي ونصرة المستضعفين في الأرض وردّ أي عدوان يستهدف أراضيها، وقد نصت ميثاق الأمم المتحدة على أن من حق كل دولة أن تعيش آمنة ضمن حدودها، وأن تدافع عن سيادتها وأمنها بالقوة، إذا وقع عليها عدوان من دولة أخرى.

وقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على تنمية وتطوير قوة المسلمين، لتكون رادعة للأعداء، حتى يجنحوا إلى السلم، ولا يفكروا في العدوان على المسلمين.

والردع بهذا المعنى، أمر مشروع، وهو الذي تتذرع به الدول الكبرى في توازن القوى وسباق التسلح والضربات الاستباقية ولكن هناك فرقا بين قوة الردع الإسلامية التي ظهرت للوجود منذ خمسة عشر قرناً، وبين قوة الردع في عصرنا الحاضر فقوة الردع الإسلامية، مهما تكن متفوقة في القوة على غيرها، فإنها تكتفي بإخافة العدو، لمنعه من استعمال قوته في الاعتداء، ولا تتهاجمه إلا إذا هم بالعدوان، أما قوات الردع المعاصرة، إذا اختل توازن القوة بينها، فإن نشوب الحرب يكون قاب قوسين أو أدنى.

وقد نجح النبي صلى الله عليه وسلم في ردع أعدائه، حيث قاتل فقط في تسع غزوات من بين تسع عشرة غزوة خرج فيها وفي بقية الغزوات كان المشركون يلوذون بالفرار، خوفاً وهلعاً من جيش المسلمين الذي أصبح قوة رادعة.

#### المبحث الرابع: مظاهر التميز في الأخلاق العسكرية

لم تكن غاية الرسول صلى الله عليه وسلم من الجهاد في سبيل الله تعالى إكراه أعدائه على الإسلام، أو قتلهم، بل كان يسعى إلى تحريرهم من براثن الوثنية، ليصروا نور الحق، ويكفوا عن طغيانهم،

١٥٦- سورة الممتحنة، الآية: ٨.

١٥٧- سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

وبطشهم بالمسلمين، لكن تماديهم في الطغيان اضطر الرسول القائد إلى خوض معارك لم يكن راغبا فيها، ولا حريصا على استمرارها، ومع كل عدوانهم فقد عاملهم أفضل معاملة، لم يشهد تاريخ الحروب مثلها، وهذه بعض مظاهر التمييز في معاملة العدو، ومنها:

### الكف عمن نطق بالشهادة

كان الرسول القائد حريصا على كل شيء يصون دماء الناس ويوقف القتال، ويحقق السلام، حتى إن من أثنخ في المسلمين ثم وقع تحت سيوفهم ونطق بالشهادة، فقد أمر نبي الرحمة بقبول علانيته والكف عنه وعدم قتله روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا من المسلمين إلى قوم من المشركين وإنهم التقوا، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلا من المسلمين قصد غفلته قال: "وكننا نحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: لم قتلته؟ قال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين وقتل فلانا وفلانا وسمى له نفرا، وإني حملت عليه فلما رأى السيف، قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقتلته؟ قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟" (١٥٨).

وقد يكون قاهها لينجو من القتل، ومع ذلك منع النبي صلى الله عليه وسلم قتله، ويؤكد هذا المنع حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه حين سأل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أفأقتله يا رسول الله بعد أن قاهها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله، قال: فقلت: يا رسول الله، إنه قد قطع يدي ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال" (١٥٩).

### تقديم الصلح على القتال

لا أرحم من النبي صلى الله عليه وسلم بأعدائه في السلم والحرب، وأنه متى دعوه إلى الصلح

١٥٨- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ص ٥٥-٥٦، رقم: ٢٧٩.

١٥٩- المصدر السابق، ص ٥٥، رقم: ٢٧٤.

استجاب لهم، وحتى لو كانوا على وشك الاستسلام، فإنه يقبله منهم، لأن غايته لم تكن تقتيلهم أو أن يسلموا مكرهين بل كان غرضه وقف عدوانهم على المسلمين وإبطال مؤامراتهم التي يكيدون بها للإسلام ليل نهار، وقد حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر عدة أيام، وكان على وشك أن يأخذها عنوة، فلما أيقنوا بالهلاك، طلبوا منه الصلح وأن يسيرهم، ويحقن لهم دماءهم، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحهم وعامل أهل فدك بمثل ما عامل به أهل خيبر، فقبل منهم الصلح أيضاً، قال ابن هشام: "فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم (١٦٠) فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فينا بين المسلمين، وكانت فدك خالصة للرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب" (١٦١).

#### الوفاء بالعهود

كان النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الوفاء بالعهود والمواثيق، ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم نقض العهد لأي أحد أبداً، وها هو قبل أن تكتب وثيقة صلح الحديبية بينه وبين أعدائه، جاء أبو جندل بن سهيل فارا بدينه من أذى قريش، وكان أبوه قد حبسه فأفلت منه، ولكنه صلى الله عليه وسلم سلمه إلى أبيه ورده إليه التزاماً بالاتفاق الذي تم بينه وبين قريش (١٦٢)، ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جاءه أبو بصير هاربا من مكة، فأرسلت قريش وراءه رجلين وطلبوا من الرسول أن يسلمه إليهما بموجب اتفاقية الحديبية، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به (١٦٣)، وفي رواية البيهقي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم أبابصير وقال له: "يا أبابصير إن هؤلاء القوم قد صالحونا على ما قد علمت، وإننا لانغدر، فالحق بقومك، فقال يا رسول الله تردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ويعبثون بي، فقال رسول الله صلى الله

١٦٠- صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب إذا قال رب الأرض: أفرك ما أفرك الله...، ص ٣٧٦، رقم ٢٣٣٨.

١٦١- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٠٧، والرواية أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب في صفايا الرسول، ج ٣، ص ١٠٣، رقم: ٢٩٦٦، وقال الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، ج ٦، ص ٤٦٦، رقم: ٢٩٦٦، وانظر: ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢١٤.

١٦٢- انظر: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، ص ٤٤٧، رقم: ٢٧٣١.

١٦٣- المصدر السابق، ص ٤٥٠، رقم: ٢٧٣١.

عليه وسلم: اصبر يا أبا بصير واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين من المؤمنين فرجا ومخرجا" (١٦٤).

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالحرص على الوفاء بالعهود والمواثيق، ويحذرهم من نقضها، أو الغدر بالمعاهدين والمستأمنين فيقول: "من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما" (١٦٥).

قال ابن حجر: "المراد به من له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية أو هدنة، من سلطان أو أمان من مسلم" (١٦٦).

وروى مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان قال: "ما منعتني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر، فقال: "انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم" (١٦٧).

ونهى صلى الله عليه وسلم عن الغدر فقال: "لكل غادر لواء يوم القيامة، يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة" (١٦٨).

#### الدعوة قبل القتال

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض دعوته على عدوه قبل القتال، فعن ابن عباس قال: "ما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما قط إلا دعاهم" (١٦٩)، وعلم أصحابه رضي الله عنهم الرحمة في ميادين القتال، من خلال تقديم الكلمة على القوة التي لا يستعملها إلا بقدر فيوصي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه أن يكون حريصا على هداية الناس، إذ هي رسالة العسكرية الإسلامية، قال علي رضي الله عنه: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال صلى الله عليه وسلم: "انفذ على رسلك

١٦٤- البيهقي، السنن الكبرى، ج ٩، ص ٢٢٧، رقم: ١٨٦١١.

١٦٥- صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، ص ٥٢٧، رقم: ٣١٦٦.

١٦٦- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ١٢، ص ٢٥٩.

١٦٧- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد، ص ٧٩٧، رقم: ٤٦٣٩.

١٦٨- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، ص ٧٦٩-٧٧٠، رقم: ٤٥٣٨.

١٦٩- الإمام أحمد بن حنبل، المسند، مسند عبد الله بن عباس، مؤسسة قرطبة، القاهرة، تعليق: شعيب الأرنؤوط:

"إسناده صحيح على شرط مسلم"، ج ١، ص ٢٣٦.

حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم" (١٧٠).

ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بعرض الدعوة على عدوه، بل يكرر العرض عليه، وينتظره ثلاثة أيام، ويخيره بين الاستجابة للمطالب التي يعرضها عليه، أو القتال ويود لو أن عدوه يستجيب لمطالبه، حتى لا تراق الدماء، وإذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا، فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك، فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا، فاستعن بالله وقاتلهم" (١٧١).

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتى أعداءه ليلا، لا يقاتلهم حتى يطلع النهار، وإذا سمع أذانا توقف عن قتالهم، فعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوما، لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانا كف عنهم، وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم" (١٧٢).

فهذه النصوص كلها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان هدفه هداية الناس، ولا يقاتل إلا مضطرا، ولذلك كان ينذر أعداءه قبل القتال، ويدعوهم للإسلام.

#### تجنب استهداف المدنيين

جعل النبي صلى الله عليه وسلم اقتصار الحرب على المقاتلين دون المدنيين، وهذا ما يؤكد أن الإسلام ليس متعظشا إلى إراقة الدماء أبدا وليس من مشروعه استهداف المدنيين، كما تفعل القوى الغربية التي تعيث اليوم فسادا في ديار المسلمين، مستهدفة المدنيين العزل الذين جعلت من دمايتهم أنهارا وأبحرا، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم لحرصه الشديد على أن لا تراق قطرة دم واحدة بغير حق، نهى عن قتل

١٧٠- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر- ص ٧١٥- رقم ٤٢١٠.

١٧١- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث، ص ٧٦٨، رقم: ٤٥٢٢.

١٧٢- صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، ص ١٠١، رقم: ٦١٠.

المدنيين الذين لا يشاركون في القتال من المسنين والمتقطعين للعبادة والنساء والصبيان فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "وجدت امرأة مقتولة في بعض تلك المغازي، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان" (١٧٣).

وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بالنساء خيرا فقال: "استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء" (١٧٤).

كما أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن ربط يدي الإنسان ورجليه، ثم ضرب عنقه، أو جعله هدفا للنبل، وهو ما يسمى بالقتل صبورا فقال صلى الله عليه وسلم: "لا يقتل قريشي صبورا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة" (١٧٥).

#### تجنب استهداف العمران والبيئة

نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن الفساد في الأرض باسم الجهاد في سبيل الله تعالى، وأمرهم بتجنب إلحاق الضرر والدمار بالممتلكات والمنشآت، والحقول والمزارع، وغيرها مما هو خارج دائرة المعركة، إلا ما كان فيه مصلحة ضرورية، روى أبو داود بسنده عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه قال: "غزوت مع نبي الله صلى الله عليه وسلم غزوة كذا وكذا فضيق الناس المنازل وقطعوا الطريق، فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي في الناس أن من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له" (١٧٦).

#### إكرام أسرى العدو

رغم كل المعاهدات والمواثيق الدولية التي تنص على حماية حقوق الإنسان، فإن حضارة عصرنا لازالت تقوم بانتهاكات صارخة لحقوق الأسرى، حيث يخضعون للتعذيب النفسي والمادي، والحرمان من الضروريات الأساسية، ويعاملون معاملة في غاية السوء، وفضائح سجن "أبو غريب وغونتينامو" ليست ببعيد.

١٧٣- صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ص ٧٧٢، رقم: ٤٥٤٨.

١٧٤- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ص ٥٥٣، رقم: ٣٣٣١.

١٧٥- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب لا يقتل قرشي صبورا بعد الفتح، ص ٧٩٤، رقم: ٤٦٢٧.

١٧٦- أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر من انضمام العسكر وسعته، ص ٣٧٩، رقم: ٢٦٢٩، قال الشيخ

الألباني: "حسن"، انظر: السنن لأبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص ٣٤٥.

وقد كان مصير الأسير في القديم وفي كل الشرائع بين القتل والرقي، ولم تكن أي دولة تهتم لأسراها، بل كان أهل الأسير هم الذين يقدمون الفداء، ولم يعرف التاريخ شرعة اهتمت بالأسرى وحفظت كرامتهم كشريعة الإسلام، فالرسول صلى الله عليه وسلم منع الاعتداء على الأسرى، ونهى عن تعذيبهم وإهانتهم، بل إنه عاملهم معاملة لم تبلغها موثيق حقوق الإنسان التي تتباهى بها الحضارة المعاصرة، وهل نجد دولة من الدول في عصرنا تعد أسرى العدو ضيوفا عندها؟ وهل بلغت من مكارم الأخلاق أن تؤثر الأسرى في المأكل والمشرب على جنودها؟

إن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما تمكن من أعدائه، وانتصر عليهم يوم بدر، وأسر رجالا من الذين اضطهدوه، وأخرجوه من داره ووطنه ولم يتركوا وسيلة لخربه إلا ركبوها، تجلت رحمته العظيمة بالإنسان، فلم يكن رجل انتقام، ولم يعذبهم، ولم يهنهم، أو يجعلهم سخرية بين الناس، ولو فعل ذلك لما ظلمهم، ولكان عادلا في حكمه عليهم، لكنه عاملهم معاملة حسنة، وأي معاملة؟ إنهم كانوا ضيوفا عنده، يأكلون أحسن مما يأكل المسلمون ويلبسون أحسن مما يلبسون، بل إن الطعام على قلته يقدم لهم أولا، وهذه الصورة الرائعة لم تعرفها البشرية في تاريخها، وقد أثارت دهشة الأسرى أنفسهم، فهم لم يشهدوا في الحروب التي خاضوها من قبل، هذه المعاملة الراقية الفريدة في التاريخ حتى إن بعضهم قد أسلم طائعا غير مكره، وهذا الموقف العظيم قد خلده القرآن الكريم وأثنى فيه على أولئك المؤمنين الصادقين الذين يؤثرون الأسرى على أنفسهم فقال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْدٍ مَّشْكِينًا مِّمَّا وَبَّيْنَا وَأَسِيرًا ۝٨﴾<sup>(١٧٧)</sup>، ثم استشار أصحابه في أمرهم، فمنهم من أشار عليه بأخذ الفدية، ومنهم من أشار بقتلهم، لكنه كان بهم رحيمًا<sup>(١٧٨)</sup>.

وبعد أن وقع ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة أسيرا عند الرسول القائد، تركه النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد حتى يرى بنفسه المجتمع الإسلامي الجديد عن كثب، لعله يتأثر فيتحرك من ظلمة الكفر، وينجو من عذاب الله، وكان النبي صلى الله عليه وسلم من حين لآخر يسأله فلم يبد رغبة في الإسلام، فتركه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكرهه أو يخيره بين القتل والإيمان به، بل عامله معاملة حسنة، ثم فك أسره دون فداء، فاستقر في نفس ثمامة أن محمدا هو رسول الله بحق، فليس رجلا يطلب ملكا أو مالا كما

١٧٧- سورة الإنسان، الآيتان: ٨- ٩.

١٧٨- انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ص ٧٨٢، رقم: ٤٥٨٨.

كان يظن وأعلن إسلامه (١٧٩).

واهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بقضية الأسرى، اهتماما كبيرا، وأمر الناس بحسن معاملتهم، والسعي لتحريرهم فقال: "فكوا العاني، وأجيبوا الداعي" (١٨٠)، وجعل من واجبات الدولة الإسلامية السعي لإطلاق سراح أسراها، وفتح بابا لم تفكر فيه البشرية، وهو المن على الأسير، وحث المسلمين على قبول الفدية من الأسير رحمة به.

إن الأسرى في كل عصر بحاجة إلى أن يصلوا ويسلموا على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويشكروه على الحقوق التي شرعها لهم والمزايا التي خصهم بها، والرق الذي أنقذهم منه، والحياة الكريمة التي كفلها لهم.

#### النهي عن التمثيل

مثل المشركون أبشع تمثيل بشهداء غزوة أحد، فأثاروا عليهم حفيظة المسلمين ومع أن الرسول القائد قد ظفر بهم في مواطن كثيرة، لكنه لم يمثل بهم، بل نهى أصحابه عن هذا الفعل المشين، وبين لهم أن الإسلام الذي جاءهم بهم يحافظ على سير الحرب في إطارها المشروع، ولا يدعها تحيد عن غايتها، روى البخاري بسنده عن عبد الله بن يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النهي (١٨١) والمثلة (١٨٢)، وعن قتادة قال: "بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كان يحث على الصدقة، وينهى عن المثلة" (١٨٣).

وحين أسر سهيل بن عمرو، وكان خطيبا مفوها يهجو الإسلام، قال عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله دعني أنزع ثيبي سهل بن عمرو ويدلغ لسانه، فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا أمثل به فيمثل الله بي،

١٧٩- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حذيفة، ص ٧٤١، رقم: ٤٣٧٢.

١٨٠- المصدر السابق، كتاب الأحكام، باب إجابة الحاكم للدعوة، ص ١٢٣٥، رقم: ٧١٧٣.

١٨١- النهي: أي أخذ مال المسلم قهرا جهرا ومنه أخذ مال الغنيمة قبل القسمة اختطافا بغير تسوية"، انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ٩، ص ٦٤٤.

١٨٢- صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة، ص ٩٨٢، رقم: ٥٥١٦، والمثلة: "قطع الأعضاء من أنف وأذن ونحوها"، انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ٦، ص ٢٣.

١٨٣- المصدر السابق، كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، ص ٧١١، رقم: ٤١٩٢.

وإن كنت نبيا" (١٨٤).

### دفن موتى العدو

كانت غزوة بدر أول معركة في الإسلام تقوم بين معسكر الإيوان ومعسكر الكفر وتقدم صناديد الشرك يرفعون لواء الوثنية وهم مصممون على إطفاء نور التوحيد ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم نصحهم بالرجوع إلا أنهم أصروا على الحرب التي تفاجأوا فيها بعظمة النبي في إدارة المعركة، وقوة بسالة المسلمين الذين أثنوا فيهم وكسروا كبرياءهم وحطموا غرورهم وفرقوا جموعهم فإذا هم في ساحة الوغى بين منهزم فار وصريع وأسير وبعد الانتصار العظيم للرسول القائد على أعدائه لم يمثل بقتلاهم بل أمر بدفنهم، روى البخاري بسنده عن أبي طلحة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش، فقتلوا في طوي من أطواء بدر خبيث مُحْبِث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي (١٨٥)، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قال فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم"، قال قتادة أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقيمة وحسرة وندما" (١٨٦).

### الدعاء بالخير للعدو

بعد انتصار المسلمين في الجولة الأولى في غزوة أحد، طمع الرماة في الغنائم وأخلوا مواقعهم، ففتحت ثغرة في الخطة الحربية التي رسمها لهم الرسول صلى الله عليه وسلم في المعركة وانتهز العدو الفرصة ودارت الدائرة على المسلمين ووصل المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسقطوا رباعيته، وأسألوا دمه الطاهر، وهاجموه بوحشية شرسة حتى وقع في حفرة وأصحابه يدافعون عنه ويقاتلون ببسالة، وقد جعلوا أجسامهم دروعا تقي الرسول صلى الله عليه وسلم من سهام الوثنيين، وفي

١٨٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٤٩، وقال ابن كثير: "هذا حديث مرسل بل معضل"، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٣٧٨.

١٨٥- شَفَّة الركي: "أي طرف البئر"، انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٣٠٢.

١٨٦- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ص ٦٧١، رقم: ٣٩٧٦، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٣٨.

هذه اللحظات التي لا يعرف فيها المقاتل الرحمة بعدوه الذي يريد القضاء عليه بأي وسيلة وبأي ثمن، نجد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم حين قيل له: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: إني لم أُبعث لعائنًا، وإنما بعثت رحمة" (١٨٧).

وحين شج الكفار وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد قال: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" (١٨٨)، وقال عبد الله بن مسعود: "كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" (١٨٩)، ولما قال له جنده: "يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم، قال: "اللهم اهد ثقيفا" (١٩٠).

إن هذه المواقف العظيمة التي تميز بها النبي صلى الله عليه وسلم عن سائر القادة العسكريين، تدل على صدق نبوته، وما يتسم به قلبه من رحمة ورأفة، بل إن رحمته بالناس أوسع حتى بين إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

عفو لا نظير له

إن تاريخ الحروب البشرية قد حوى مواقف وسلوكيات مخزية، سطرها قادة تجردت قلوبهم من إنسانيتها حين كانت لهم الغلبة والنصر على خصومهم، لكنه صلى الله عليه وسلم حين غلب وتمكن، لم يكن سيفًا مسلطًا على الرقاب، بل نقش في جبين التاريخ أروع الأمثلة في الصفح والعفو، لم ترها عين قط، ولا حدث بها القادة الرحماء نفوسهم، ولا حفل سجل البشرية بمثلها أبداً لقد كان صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، ومظاهر عفوهِ المتميزة كثيرة، ومنها:

- 
- ١٨٧- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ص ١١٣٤، رقم: ٦٦١٣.
- ١٨٨- ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب الرقائق، باب الأدعية، ج ٣، ص ٢٥٤، رقم: ٩٧٣، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، فقال: "إسناده حسن"، ورواه الطبراني، المعجم الكبير، باب السين، سهل بن سعد الساعدي، ج ٦، ص ١٦٢، رقم: ٥٨٧٢.
- ١٨٩- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٥٤، ص ٥٨٦، رقم: ٣٤٧٧.
- ١٩٠- الترمذي، جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب في ثقيف وبني حنيفة، قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، ص ٨٨٦، رقم: ٣٩٤٢، وقال الألباني: "ضعيف"، انظر: الشيخ الغزالي، فقه السيرة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص ٣٩٨، ولكن ابن معين قد خالفه ابن أبي حاتم فصرح بسماع عبد الرحمن بن سابط من جابر فقال: "عبد الرحمن بن سابط الجمحي مكي روى عن عمر، مرسل وعن جابر بن عبد الله متصل"، انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف النعانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٩٥٣م، ج ٥، ص ٢٤٠، رقم: ١١٣٧.

## عفو عن اليهود

كانت خبير مجمع العصابات، والمؤامرات التي تحاك ضد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ومع كل الحقد والحسد الذي أظهره اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم، وتخريضهم الشديد للقبائل العربية على معاداته، وإشعالهم نار الفتنة بين المسلمين واستمرارهم في سلوكياتهم العدوانية، فإنه صلى الله عليه وسلم حين هزمهم وأظهره الله عليهم ومكنه منهم، لم يرق قطرة دم واحدة منهم وقد فاجأ بموقفه هذا يهود خبير أنفسهم، وهو يحمل في طياته دلالة كبيرة على تجرده من الحقد والانتقام، وأن السلام غايته، ولم يترك النبي صلى الله عليه وسلم رحمته الكبيرة أن تكون سببا لتجرئة المجرمين والخصوم، على معاودة الكرة، إذا سنحت لهم الفرصة، فاتخذ وسائل لعلاج القوم والأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب، فأشرك المسلمين في أموالهم مناصفة في العمل مقابل بقائهم في ديارهم آمنين (١٩١).

وقد أبدى المفكر الغربي "هوك جيورجيو" إعجابه بهذه المعاملة الحسنة فقال: "وأحسن محمد صلى الله عليه وسلم معاملة اليهود، إذ سمح لمن يريد منهم بالرحيل، وحمل ما يريدون عدا التمر والغنم والغلال، وبرواية أخرى عدا أثاث المنازل، أما من لم يرد الرحيل فليبق وله الحرية في العمل الذي يريد كما أنه منع المسلمين من الزواج بالنساء اليهوديات على طريقة الزواج بالمتعة" (١٩٢).

وهذا الحكم قد جمع بين العدالة والرحمة، ولم يتجاوز شريعتهم التي يتحاكمون إليها، والتي تنص على أن الجيش اليهودي إذا دخل مدينة بالقوة، فعليه أن يقتل الرجال ويسبي الذرية والنساء ويقسم الأموال، جاء في سفر التثنية في الإصحاح العشرين: "حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالملك بل عملت معك حربا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا، فلا تستبق منها نسمة ما" (١٩٣)،

١٩١- انظر: صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب إذا استأجر أرضا فإت أحدهما، ص ٣٦٥، رقم: ٢٢٨٥.

١٩٢- كونستانس جيورجيو، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ترجمة: محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

١٩٣- العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح، ج ٢٠، ص ١٠ - ١٦.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٩٤).

### عفو عن المنافقين

جاء الرجل المؤمن الصادق عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول يستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا شاء، في قتل أبيه المنافق فقال: والذي أكرمك، والذي أنزل عليك الكتاب، لئن شئت لآتينك برأسه"، ويبدو لأول وهلة أن هذا الابن قد خلا قلبه من الرحمة على أقرب الناس إليه رحماً، وربما كان مبغضاً لوالده عاقلاً له، فواتته الفرصة ليتخلص منه، لكن الحقيقة أن الابن المؤمن كان أبر الناس بوالده، واتخذ هذا الموقف الشجاع بعد أن امتلأ قلبه بحب الله ورسوله، فأثر رضاها على رضا والده الذي يحظى بحماية المسلمين، ولا يتوقف عن المكر بهم، وحبك المؤامرات، وفي كلا الموقفين يكون الابن قد نازعته نفسه، وتحركت عاطفة الأبوة في قلبه، ولكنه علا فوق ذلك كله بإخلاصه وصدق إيمانه، وبقي ينتظر الجواب الحاسم، وهي فرصة سانحة للرسول صلى الله عليه وسلم كي يضرب عصفورين بحجر واحد، فيتخلص من رأس النفاق، ويسلم من حديث الناس، ولكن الرسول الرحيم قدر موقف الابن الذي ضحى بأقوى عواطفه في سبيل الله تعالى، فقال له: "لا، ولكن برأباك، وأحسن صحبتته" (١٩٥).

كما أنه صلى الله عليه وسلم عفا عن المنافقين الذين تخلفوا في غزوة تبوك واستغفر لهم (١٩٦)، ولم يمس المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار بسوء (١٩٧) وكلما أشار عليه أحد أصحابه بقتل من ظهر نفاقه، قال: "دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" (١٩٨).

١٩٤- سورة النحل، الآية: ١١٨.

١٩٥- ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب البر والإحسان، ج ٢، ص ١٧٠، رقم: ٤٢٨، ورواه الطبراني، المعجم الأوسط، ج ١، ص ٨٠، رقم: ٢٢٩، قال الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، ج ٩، ص ٣، رقم: ٣٢٢٣، وقال الهيثمي: "رواه البزار ورجاله ثقات"، انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب المناقب، باب في عبد الله بن عبد الله بن أبي، ج ٩، ص ٥٢٨، رقم: ١٥٧٦١.

١٩٦- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ص ٧٤٩-٧٥٠، رقم: ٤٤١٨.

١٩٧- انظر: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج ٥، ص ٢١١.

١٩٨- صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾، ص ٨٧٠-٨٧١، رقم: ٤٩٠٥، ورواه مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، ص ١١٣٠، رقم:

## عفوهم عن أراذلهم

حين عجز المشركون عن وقف انتشار الإسلام، وصد الناس عن الإيمان به، ويأسوا من ردة المؤمنين عن دينهم وفشلوا في إخماد صوت الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتحداهم، قاموا بعدة محاولات فردية وجماعية لاغتياله، فحفظه الله سبحانه وتعالى، ووقع جميع أعدائه في قبضته، لكنه لم يؤذ أي واحد منهم، ولم ينتقم لنفسه أبداً، ولم يكرههم على الإسلام، بل عفا عنهم وصفح وكان بهم لطيفاً رحيماً، فعفا عن الأعرابي الذي حاول اغتياله (١٩٩)، وعمير بن وهب (٢٠٠)، وفضالة بن عمير (٢٠١)، واليهودية زينب بنت الحارث التي سممت الشاة وأهدتها له (٢٠٢)، وثمانين مشركاً أرادوا قتله فأخذهم، وأعتقهم (٢٠٣).

إن كل هذه المحاولات العدوانية لو وقعت واحدة منها لأي حاكم أو ملك، لسالت أودية بالدماء، وأصاب انتقامه البراء ولم يتورع عن استخدام أي وسيلة لإشفاء غليله، لكن الرسول القائد رغم مكر أعدائه وكيدهم به إلا أنه بعفوه عند المقدرة، قد ضرب المثل الأعلى في الرحمة بأعدائه والرفق بهم.

## عفوهم

قتل الصليبيون أثناء دخولهم المسجد الأقصى (٢٠٤)، ما يزيد على سبعين ألفاً من المسلمين (٢٠٥)،

١٩٩- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر، ص ٤٨١، رقم: ٢٩١٠، "اسم الرجل غَوَزْتُ بِنُ الْحَارِثِ".

٢٠٠- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢١٤، ورواه الطبراني، المعجم الكبير، باب العين، عمير بن وهب الجمحي، ج ١٧، ص ٥٦، رقم: ١٣٨٠٥، قال ابن حجر: "ذكره أبو الأسود عن عروة مرسلًا وأورده ابن إسحاق في المغازي عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلًا أيضًا، وجاء من وجه آخر موصولاً أخرجه ابن منده من طريق أبي الأزهر عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره وقال: ابن منده: غريب لا نعرفه عن أبي عمران إلا من هذا الوجه، وأخرجه الطبراني من طريق محمد بن سهل بن عسكر عن عبد الرزاق بسنده فقال: لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك"، انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد الجاوي، ج ٤، ص ٧٢٨.

٢٠١- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥، ص ٨٠، وانظر: ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، ص ٢٣٥.

٢٠٢- صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين، ص ٥٢٧، رقم: ٣١٦٩.

٢٠٣- صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾، ص ٨١١، رقم: ٤٦٧٩.

٢٠٤- انظر: المستشرق غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢م، ص ٢٧٠-٣٣٥-٣٣٩.

٢٠٥- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ط ٢، ج ٩، ص ١٩.

وأمر القائد الروماني ماركوس كراسوس الذي أطفأ ثورة العبيد بقيادة سبارتكوس سنة ٧٢ قبل الميلاد، بصلب ستة آلاف أسير (٢٠٦)، وقام ريتشارد قلب الأسد بذبح ٢٥٠٠ من أسرى المسلمين (٢٠٧)، وأمن نابليون بوناپرت أهالي يافا، ثم قتلهم جميعاً (٢٠٨)، لكن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة بتواضع ممتطياً جملة، مطأطأ رأسه، شاكرًا الله عز وجل على نصره المبين، ثم طاف بالبيت العتيق، ونظر إلى أهل مكة، وهم ينتظرون قراره فيهم، فإذا به يفاجئهم جميعاً، بل فاجأ الإنسانية كلها بمعاملته العظيمة التي تجلت فيه رحمته، وبقي موقفه مفخرة للبشرية على مدار التاريخ، إنه نظر بعين الرحمة إلى أولئك القوم الذين حاربوه ثلاثاً وعشرين سنة، فصاروا بين يديه أذلة صاغرين، قد استبد بهم الهلع، فأمر بالعمو عنهم جميعاً، وقد سموا بعد ذلك بالطلقاء (٢٠٩)، فهل لهذا العفو من نظير؟! وصدق ابن الصفيي إذ يقول:

ملكنا فكان العفو منا سجية      فلما ملكتم سال بالدم أبطح  
وحللتم قتل الأسارى وطالما      غدونا عن الأسرى نعف ونصفح  
فحسبكم هذا التفاوت بيننا      وكل إناء بالذي فيه ينضح (٢١٠)

ومع هذا الفتح المبين، بقي المبعوث رحمة للعالمين متواضعاً، يعطف على الضعفاء ويجالس الفقراء والمساكين ويزور المرضى ويعين المحتاجين ويقوم الليل حتى تنفطر قدماه، فلما قالت له عائشة رضي الله عنها: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أكون عبداً شكوراً<sup>(٢١١)</sup>.

وشمل عفوهُ صلى الله عليه وسلم الناس جميعاً، فعفا عن أبي سفيان بن حرب (٢١٢)، وصفوان

- 
- ٢٠٦- انظر: محمد فرج، العبقريّة العسكريّة في غزوات الرسول، دار الفكر العربي، ١٩٧٧م، ط٣، ص ٦٦٨-٦٦٩.
- ٢٠٧- ول ديورانت، قصة الحضارة، ص ٥٠٧.
- ٢٠٨- انظر: محمد فرج، العبقريّة العسكريّة في غزوات الرسول، ص ٦٦٨-٦٦٩.
- ٢٠٩- انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ص ٧٣٣، رقم: ٤٣٣٣.
- ٢١٠- انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٣٦٥.
- ٢١١- صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ص ٨٥٦، رقم: ٤٨٣٦.
- ٢١٢- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، ص ٤٢٨، رقم: ٢٤٤٣.

ابن أمية (٢١٣)، وعكرمة بن أبي جهل (٢١٤)، وهبار بن الأسود (٢١٥) وهند بنت عتبة (٢١٦)، ووحشي (٢١٧)، وغيرهم.

وهؤلاء جميعا كانوا من ألد أعدائه وأذوه إيذاء كبيرا ومع ذلك عفا عنهم، وفتح لهم قلبه، وسعهم برحمته، وقد أبدى السيد وليم موير إعجابه الشديد بحسن معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لأعدائه، وعفوه عنهم فقال: "وعامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء حتى مع أهل مكة، وهم الذين ناصبوه العداء سنين طوالا، وامتنعوا من الدخول في طاعته، كما ظهر حلمه وصفحه في حالتي الظفر والانتصار، وقد دانت لطاعته القبائل التي كانت من قبل أكثر مناجزة وعداء له" (٢١٨).

وبعد انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم في معركة حنين، أمر بجمع السبي من النساء والذراري والغنائم الكثيرة، وحبسها في مكان يسمى الجعرانة، فجاءه وفد هوازن مسلمين فقالوا: يا رسول الله إنا أهل عشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك" (٢١٩)، فمن عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم (٢٢٠).

- 
- ٢١٣- المصدر السابق، كتاب الفضائل، باب في سخائه صلى الله عليه وسلم، ص ١٠٢٢، رقم: ٦٠٢٢.
- ٢١٤- انظر: النسائي، السنن، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد، ص ٥٦٧، رقم ٤٠٧٢، وقال الشيخ الألباني: .... "صحیح"، انظر: النسائي، المحتجب من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، ج ٧، ص ١٠٥، رقم: ٤٠٦٧، وقال الهيثمي: "ورجالها ثقات"، انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب المغازي والسير، باب في غزوة الفتح، ج ٦، ص ٢٤٧، رقم: ١٠٢٣٦.
- ٢١٥- الواقدي، المغازي، ص ٨٥٦، ونص الحديث: "الإسلام يجب ما كان قبله"، رواه البيهقي، السنن الكبرى، كتاب السير، باب ترك أخذ المشركين بما أصابوا، ج ٩، ص ١٢٣، رقم: ١٨٧٥٣، قال الشيخ الألباني: "صحیح"، انظر: الألباني، إرواء الغليل في تحريج أحاديث منار السبيل، ج ٥، ص ١٢١.
- ٢١٦- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ذكر هند بن أبي عتبة، ص ٦٤٢، رقم: ٣٨٢٥.
- ٢١٧- المصدر السابق، كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب، ص ٦٩٨، رقم: ٤٠٧٢، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٠.
- ٢١٨- وليم موير، حياة محمد، نقلاً عن كتاب عبدالرحمن عزام: بطل الأبطال، دار الهداية، القاهرة ودار القلم، الكويت، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٨٨.
- ٢١٩- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْتَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ﴾، ص ٧٣٠، رقم: ٤٣١٨.
- ٢٢٠- انظر: المصدر السابق، ص ٧٣٠، رقم: ٤٣١٨.

ولما انقضى أمر قريش، وصارت العاقبة للرسول صلى الله عليه وسلم، تتابع إسلام القبائل في أنحاء الجزيرة العربية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، بعد أن كانوا يدخلون فرادى، وصاروا يتوافدون على المدينة، لإعلان إسلامهم، ومبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وخطب وده، حتى سمي العام التاسع من الهجرة عام الوفود، وقد استقبلت هذه الوفود خير استقبال، فكانت هناك دار للضيافة يقيم فيها الوافدون، وهناك مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في استقبالهم، وهناك من يستضيفه الصحابة رضوان الله عنهم في بيوتهم، تطوعا منهم أو تكليفا من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كانت تلك الوفود حريصة أشد الحرص على فهم الإسلام، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يهتم بتفقيهم في الدين، فإذا رغبوا في الرحيل، أو صاهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ثم يجزيهم بالجوائز الحسنة ويسوي بينهم وهكذا انقضى عهد الأصنام وطويت صفحته المقيمة وبدأت مرحلة جديدة مشرقة في تاريخ الإنسانية.

من أهم نتائج البحث:

- ١- براعة النبي صلى الله عليه وسلم في الجمع بين القيادة العسكرية النظرية والتنظيم لشؤون الحرب وإدارتها.
- ٢- تأسيس النبي صلى الله عليه وسلم لمدرسة عسكرية متكاملة.
- ٣- تغيير العقيدة العسكرية الوثنية إلى عقيدة الجهاد في سبيل الله تعالى.
- ٤- التزام الحروب الإسلامية بالقيم والأخلاق السامية.
- ٥- الاعتناء بإعداد عناصر القوة وتطويرها.
- ٦- تشجيع التكافل الاجتماعي.
- ٧- نشر قيم التسامح والعدل والسلام.
- ٨- رعاية الإسلام للتعايش السلمي بين الناس.
- ٩- استثمار الحروب في تحقيق الأهداف العليا العادلة للدولة الإسلامية.
- ١٠- بناء قوة إسلامية رادعة للأعداء ونصرة المستضعفين في الأرض.

## The Military Genius of the Prophet (pbuh)

The writer highlights the exceptional leadership qualities displayed by the Prophet (pbuh) in the conduct of jihad (i.e. by means of force). The war like situation in which the small community of the faithful had been compelled to live in the sanctuary of Madinah for almost the entire period

of 10 years of the Prophet's life after hijrah, was imposed by the ruthless and powerfull enemies of Islam from all sides at all times. Despite these trying circumstances, with all the material disadvantages attending the Prophet's defense compaigns, he displayed extraordinary qualities of military leadership. The writer provides a survey of the major battles imposed on the Muslim Community of Madinah to show how remarkable was the Prophet's successful role as the chief inspiration in all significant endeavours of life and, when needed, as commander of the army of the faithful. He not only effectively defended his community and its vital material and spiritual interests against all odds and aggressions, but also ensured strict observance of the war ethics, the writer concludes.

\*\*\*\*